غرام الأميرة عشليس

تأليف الروائي الشهير المستر نلوفر آرمسترنج

عني بطبعها مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر

مطبعة السعودي



وهى رواية مصرية غرامية أدبية

تأليف

الروائى المشهور

المستر أنطوني آرمسترنج

تعريب

م . ع .

نشرت تباعا بجريدة الاهرام

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

(مطبعة سعودي بشارع عماد الدين بعابدين بمصر)

اهداء الرواية

« إلى ذكرى »

« فيرونيكا رولي »

(شقيقة ارثر رولي)

« التي كانت في الازمان الغابرة »

« نخ ـ تل ـ كا »

« كاهنة آمون في مدينه طيبة »

« أهدى هذا الكتاب »

إلى الصديق المخلص والكاتب الاديب بسيم شكرى
أهدى هذه الرواية معربة بعد ان اهداها إلي بالانكليزية ؟

المعرب

بين حبيبين

كتب أرثر رولي القصيدة التالية قبيل وفاته بأيام. وقد عثرت عليها بين الاوراق التى حملتها الي شقيقته فيرونيكا رولي وهي :

« من قديم الزمان »

« بحثت عنك بين الصخور والكهوف »
« لاختطفك الى عريني »
« فأمسكتك وسط الاحراج »
« وجذبتك من جدائل شعرك »
« وأخذتك واحتفظت بك »
« ضد صديق أو عدو خؤون »
« فكنت لي كما أنا لك »
« من قديم الزمان »

* * *

« كنت حسناء من أشراف الرومان »
« في عهد نيرون الظالم الجبار »
« وكنت أنا شاباً ساحراً »
« أقطن في جوار الطريق المقدس »
« فأرسل قيصر يطلبك »
« ولكنه لم يستطع أن يجر علينا الويلات »
« لانك لي كما أنا لك »
« من قديم الزمان »

* * *

« وجدتك فوق التلال »
« وحولك رجال غلاظ »
« فقطعت اليد القاسية »
« التي كانت تمسك جدائل شعرك »
« وفزت بك في ساحة الوغى »
« بقوسي وسهمي وسيفي البتار »
« لانك لي كما أنا لك »
« من قديم الزمان »

* * *

« دعتني محكمة التفتيش »
« لـكي تعذبني بنار بعادك »
ولـكنك لم تخذليني »
« بل تبعتني — الى الموت »
« وقد زاد الحب وهو أقوى قيودنا »
« قوة بتلك الصدمة »
« لانك لي كما أنا لك »
« من قديم الزمان »

* * *

« تآلفت روحي مع روحك »
« من قديم الزمان »
« ويحبنا قضت يد القدر »

« مهما كانت الطريق سهلة أو وعرة »
« تنظر عيناك الى العصور »
« وتلمعان ببريق الحب والغرام »
« لانك لي كما أنا لك »
« من قديم الزمان »

* * *

« اليوم يومنا دائماً »
« ووراءنا السنون والاعوام »
« وأمامنا ازمنة طويلة مجهولة »
« من ضحك وحب ودموع »
« ولكن لايهمني ما تأتى به »
« من سعادة أو شقاء »
« لأنك لي كما انا لك »
« من قديم الزمان »

المقدمة

خطاب ارثر رولي

مضى الآن نيف وثمانيــة عشر شهراً على وفاة ارثر رولي . ومنذ ترك لى هذا الرجل بصفتي صديقه تحفة أدبية هي حزمة من الاوراق استطعت فى النهاية أن أهيء مابها وأخرجه للناس في صورة مفهومة

كنت دائما في جوار ارثر رولي ، قلما أبتعد عن فراشه ومع ذلك لم يفه لى بكلمة واحدة ـ أو فى الواقع لاي أحـد ـ عن سر كتاباته في الليل البهيم أو عن احلامه الغريبة المدهشة التي كانت تمثل أمامه في خلال ساعات الظلام ، والتي كان يدونها بحالة غريبة دون أن يفقد منها شيء

كانت أول اشارة تلقيتها عن سره ـ زيارة شقيقته لي بعد تشييع جنازته بقليل . وشقيقته هـذه هي التي حملت الى حزمة الاوراق الـكبيرة التى أشرت اليها قائلة أن شقيقها ترك أوامر خاصة بارسال هذه الاوراق الي في أقرب وقت بعدوفاته ـ وهذه الاوراقهي الاصل الذي بنيت عليه هذه الرواية

وأذكر انني زعمت أولا ان حزمة الاوراقهده تشتمل على تذكار صغير أراد ارثر المسكين أن يرسله الي ولـكن لما فتحتها فيمساء ذلك اليوم في غرفة مطالعتي لم أجد فى داخلها غير قصاصات ورق لا عدد لها ، من كل حجم وشكل

وكانت هـذه القصاصات مكتوبة كلها بخط سحرى غيرجلي بالمرة وكان في بعضها بضعة سطور فقط في حين كان غيرها مكتوباً من

الوجهين وفي الهامش أيضاً . وكانت كلها مكتوبة بالقلم الرصاص ومعظمها ملوثاً في حين كان نصف صفحاتها منمراً بالمداد في زاوية الورقة لارشاد القارىء على ما يظهر الى ترتيبها

أخيراً عثرت في نهاية الاوراق القــذرة على خطاب معنوناً باسمي أجلى على الاقل شيئاً من غوامض هذه التركة الغريبة

وقبل أن استطرد فى ذكر قصتي هذه انتهز الفرصة فيهذه النقطة لأقدم الى القارى بعض حقائق عن ارثر رولي نفسه بطل هــذه الرواية فأقول :

التقيت بارثر رولي لاول مرة في فرنسا والحرب دائرة الرحى ، وكان ملازماً في فرقة مدفعية الميدان وكنت أنا ضابطاً برتبة كبتن فى الفرقة الطبية الملحقة بفرقته . وكنا نقطن في انكلترا على مقربة من « سانت جونس وود » ولم يعرف كلانا هــذه الحقيقة الا اتفاقاً في يوم صرح لنا فيه باجازة معاً . وكانت هذه الاجازة بداية صداقتنا كما كانت السبب أيضاً في مقابلتي ارثر ووالدته الارملة وشقيقته فيرونيكا وكانتا تقطنان معا في منزل نمرة ١٨ « باكاشيارود »

رقي ارثر رولي فيما بعد الى رتبة كبتن ثم جرح اثناء تقهقر جيوش الحلفاء في شهر مارس جراحاً بليغة نقل بسببها الى مستشفيات لندن ولما سافرت الى هناك عدته بالطبع وقدمت الى اهله فروض العزاء

وكانت جراحه بليغة تطلبت بتر احدى رجليه من الفخذ والاخرى من تحت الركبة عدا الجراح الخطيرة التى أصابتــه فى الرأس . وهكذا صار ارثر لا يصلح للخدمة مطلقاً . وقد مكث بالمستشفى الى أن نقل بعد التئام جراحه الى منزله في « كاشيارود » . وفي اعتقادي ابتهجت

شقيقته لسبب ما فى نفسها بوجوده معها وتحت عنايتها وحدها لانني لم ار في حياتي شقيقة مخلصة متفانيــة في خدمة شقيقها كما كانت فيرونيكا رولي

ولما وضعت الحرب اوزارها وسرح الجيش عدت الى عملي القديم في « سانت جونس وود » وفى خلال تلك المدة كنت أزور ارثر رولي كلما وجدت لدي فراغاً من الوقت ، مدفوعاً بعاملين هما حبي للرجل ، ولانى كنت اشعر بشىء من القلق من نحوه

وفى الواقع اثر بتر كلتا رجليه في صحته العامة والمجموع العصبي فأخذت حالته الصحية تزداد سوءاً يوماً بعد يوم بحيث لم أجد مندوحة في النهاية من اذأبلغ والدته وشقيقته انى ـ والاطباء الذين استدعوا لملاحظة رولي ـ نرى انه في حالة خطرة جداً

لم نخطىء فى حكمنا هذا اذ لم يمض اكثر من شهر حتي استدعيت في ساعة من ساعات الصباح القصيرة . وكانت شقيقة رولي قد سمعت صياحاً في غرفة شقيقها فهرعت اليــه فوجدته جثة هامدة . والظاهر ان المنية داهمته فجأة بسبب نزيف في الدماغ اصابه وهو جالس في فراشه يكتب فحدثت الوفاة فجأة

لم استطع أن افعل شيئاً اللهم الا أن أعرب لشقيقه رولي عن عطفى الكبير والاهتمام بها لانه كان قد أغمي عليها على أثر وقوفها على الحقيقة المحزنة عن سبب وفاة شقيقها

جاءتنى فيرونيكا رولي بعــد تشييع جنازة شقيقها بقليل بتلك الحزمة الغريبة من الاوراق ـ كما ذكرت ذلك من قبل ـ ومعها الخطاب المطول التالي بخط ارثر رولي نفسه وقد كتبه قبل وفاته بيوم أو يومين

فقط وقد جاء فيه ما يلي :

« صديقي العزيز

« لا يصلك خطابي هـذا حتى اكون قد انتقلت الى عالم جديد آخر . ولعمري اعتقد اني سأكون مسروراً ـ اذا استثنيت حزني لمفارقة شقيقتي فيرونيكا لانه مهما تـكن الحياة الاخرى فانها ستكون خيراً من هذه الحياة الملعونه التي يقضي الانسان فيها يومه يفكر في جميع الاشياء التي كان يستطيع القيام بها وقد عجز الآن عنها

«والآن اذكر لك الغرض من هذا الخطاب واشرح لك ماهي تلك الاوراق العديدة التي لابد أن تكون قدسببت لك بعض الحيرة فأقول:

« منذ عام تقريباً ـ أو بالحري في ليلة ٥ أغسطس سنة ١٩١٨ ـ عند ما أخذ الجرح الذي في رأسي يؤلمني ألماً مبرحاً طول النهار ـ رأيت حلماً غريباً جداً . وكان جلياً لذيذاً بحيث لما استيقظت من نومي أردت أن ادونه لكي يبقى عالقاً بذاكرتي ولكن لم اكد آتي بالقلم والاوراق واتهيأ للكتابة حتى وجدت أن ذاكرتي لا تعي شيئاً منه

« وكنت قد اعددت في الليلة الثانية أدوات الكتابة فرأيت في الليلة الثالثة حلماً يشبه الحلم الاول . وفي هذه المرة ـ كالمرة السابقة تماماً ـ استيقظت على اثر انتهاء الحلم مباشرة فشرعت في الكتابة وأنا لا أزال شبه نائم

« يأتي الآن الجزء المهم . فقد تولتني دهشة عظيمة في الصباح عند ما ألقيت نظري على ما كتبت . وفي الواقع شاهدت لاول وهلة ان الورقة مكتوبة بخط سحري . على اني لما انعمت النظر اليها طويلا رأيت اثني عشر سطراً مكتوبة ـ ولكنها لم تكن مكتوبة بخطي ـ وفوق

ذلك كانت مكتوبة من اليمين الى اليسار بدلا من اليسار الى اليمين فزاد ذلك في صعوبة ادراك كنهها . وفي الحقيقة كانت مكتوبة بخط سحري مهزوز كما يتبين لك ذلك من الاوراق المرسلة اليك مع هذا الخطاب .

« على ان الغريب المدهش انها كانت مكتوبة بخطي لانني أذكر عند ما تناولت القلم بيدي ولان الكلمات التي عبرت بها عن افكار حلمي كانت امامي بلهجة المتكلم

« حدث في الليلة التالية ما حدث في الليلة السابقة واستمر الحال على ذلك ليالي عديدة بعدها. فكنت أرى احلاماً معينة واستيقظ عند انتهائها ثم أقوم وأنا شبه نائم وأدون بذلك الخط الغريب كل ما حدث بالضبط كما لو كنت اقوم بتلك الحوادث في ذلك الوقت بنفسي

« لاحظت بعد بضعة اسابيع امراً آخر غريباً ، ذلك ان الاحلام التي كانت في البداية متقطعة صارت متصلة بعضها ببعض ثم استمرت كأنها كلها حلقات في سلسلة واحدة . ولا تزال مستمرة الى يومنا هذا

« لم اذكر كل هذا لاي شخص لانى لا أريد ان يسخر مني أحد ولكن لما كان لدي وقت طويل للتفكير كما تعلم شرعت اهتم بالامر اهتماماً شديداً

« اكتشفت اذ ذاك امرين : الاول انني كنت الشخص نفسه في كل حلم رأيته . ثانياً كان هذا الشخص وهو انا يتقدم كلما تقدم الوقت في حلمي . وقصارى القول كنت انتقل في هذه الحياة التي رأيتها فى حلمي خطوة خطوة كل ليلة كما يعيش الانسان في حياته العادية وفوق ذلك كنت أدون بدافع غريب كل ما أراه فى احلامي كما لو كان يقع فعلا

« هالتني هذه الحقيقة كثيراً واربكت عقلي بحيث مرضت — ولا

اخالك نسيت يوم ارسلت اليك فيرونيكا على عجل ـ ولكنى أخذت في النهاية اسوي الامور في عقلي وبدأت اشعر باهتمام مدهش بهذا الشخص الآخر الذي كنت أنا وهو شخصاً واحداً في احلامي . وسترى ان وقته كان مملوءاً بعظائم الابهة والجلال والقلاقل اكثر من حياتى ومع ذلك لم يكن شخصاً آخر يختلف عني بل كان انا نفسي . وعلى ذلك من الطبيعي ان أشعر بهذا الاهتمام الكبير من نحوه

« حرت بعد مدة فيا يجب ان أفعل بعد انتهاء احلامي لانني أدركت تماماً ان حياة الشخص الذي أراه في احلامي لا يمكن ان تستمر الى الابد الى أن شعرت فجأة منذ اسبوع بنذير وهو انه متى قتل الشخص الذي أراه في احلامي أو توفي فان نهايته ستكون نهايتي كذلك في هذه الحياة . وأظن انني لا أريد ان اعيش بعد أن يقع ذلك ـ واعلم الآن من احلامي ان النهاية ستحين بسرعة

« ولهذا السبب جمعت كل الاوراق وكتبت اليك هـذا الخطاب اشرح لك فيه ما رأيت متوخيا الايضاح ما استطعت . وقد وضعت التدابير اللازمة لارسال الاوراق اليك على يد فيرونيكا حتى الاوراق الاخيرة التي لم أدونها بعد فقد تجد بها ما يبعث في نفسك الرغبة على تحويلها الى قصة يقرأها العالم لان فيها مواقف مشهودة عديدة

«ولا استطيع ان اشرح لك السر في تغيير الخط ولكني لم أعد اهتم بهذا الامر كثيراً بعد ان تحول جل اهتمامي الى الحلم نفسه . وكذا لا أدرك كثيراً من امر تلك الحياة التي أراها في احلامي كذلك. وأجلي عبارة أراها صالحة لتفسير هذا السر هي اني كنت اعيش على ما يظهر عيشتي الخاصة ولكني فقط كنت شخصاً آخر في تلك الحياة . وكانت

حياتى في بعض الاحيان اسعد كثيراً من حياتى الحالية ـ والآن ألا ترى ان لنظرية تقمص الارواح التي لا أعرف عنها شيئاً غير اسمها علاقة بقصتي هذه ؟

« أما البلاد التي أراها في احلامي فهي بلا ريب مصر ـ ولو انني تعودت ان اذكرها باسم خم (وهو اسم مصر القديم) مهما كان معنى ذلك ـ لانني أعرف اسم الفراعنة والاهرامات وكذا اسم « رعمسيس » الذي يؤخذ من التاريخ انه كان أحد فراعنة مصر

« وفيما عدا ذلك ادع لك كل شيء لكى تتصرف فيه كما تشاء. ولا أريد ان اطيل الكلام بشأنه لانني أراه حقيقة لا مراء فيها . وعدا ذلك اخذت الحياة التي أراها كل ليلة في احلامي تنتهي وربما انتهت الليلة فتنتهي معها حياتى في هذا العالم

« يخيل الي ان من المضحك ان تنتهي حياتى على هذه الحال بعد نجاتى من الاخطار العديدة في ساحة القتال بفلاندر

« استودعك الله ـ صديقك »

« ارثر رولي »

١١ اغسطس سنة ١٩١٩

* * *

لم اكد أفرغ من تلاوة هذا الخطاب حتى تشوشت افكاري كما يدرك ذلك القاريء بسهولة. فقد بدت المسألة كلها غريبة الى حد يتعذر على الانسان معه الاعتقاد بصحتها ولكن كانت قصاصات الورق امام عيني . وكان رولي بلا مراء حافظا لقواه العقلية لان خطابه ليس خطاب رجل معتوه وكذا لا يتكبد رجل حسن الادراك مشقة كتابة كل

ذلك ـ وهو على فراش موته ـ على سبيل التسلية . والآن لا يسعني الا الاعتراف بعجزي عن ادراك معنى ذلك كله

على اني عدت الى الخطاب فقرأته ثانية فاسترعت اهتمامي تلك الجملة عن النظرية الخاصة بتقمص الارواح . وكنت فى ذاك الوقت لا أدري شيئاً عن تلك النظرية ولكني اهتممت بالامر فوقفت على معلومات كثيرة

لم اهتد من تلك المعلومات الى شيء معين ولكنها أدت بي لى النظرية التالية التي اضعها أمام القارىء الآن . ولا يبعد أن تكون نظريتى هذه غير صائبة ولكني لم استطع ان أجد غيرها يتفق معا لحقائق وعلى كل حال استنتجب هذه النظرية من الحقائق التى استخلصتها من تصريحات رولي ،

اما النظرية فتتلخص فيما يلي : اذا سلمنا جدلا باننا نعيش على الارض أكثر من مرة فى اجسام مختلفة ـ كما يقول المعتقدون بتقمص الارواح فان من الممكن لرجل فى حالة رولي ـ مصاب بجرح فى الرأس ، يعيش عيشة خاصة ـ ان ينسل كما يقولون ويعيش ثانية فى شكل حلم جزءاً من حياة ماضية . ثم لا يبعد ان تزداد الرابطة التى تكوت بهذه الحالة بين الحياتين وثوقاً بسبب اهتمام رولي الكبير بحياته هذه السابقة وطول تفكيره بها اثناء ايامه الخالية من الشواغل

قد يكون ما رآه رولى اكثر من حلم بالمعنى الذي يفهمه الناس لاستمراره ليالى متوالية عديدة بحالة قد يدرك كنهها الذين درسوا علم الاحلام . وعلى كل حال ماذكرت هذه النظرية ـ نظرية تقمص الارواح ـ الا لانها في رأيي . تلائم قصة رولى كلها

وهناك نقطة أخرى خطرت ببالى فيما يتعلق بنظريتى هذه . وهذه

النقطة هي حب الفتاة نح ـ تل ـ كالتي سيرد ذكرها فيما بعد

يعتقد الذين يؤمنون بتقمص الارواح ان المحبين الصادقين يلتقون ثانية فى حياتهم المقبلة لان الحب الصادق لايفني وأظن أن هذا محتمل جداً . واذا تبسطنا قليلا في هذه النقطة أمكن القول بان فيرونيكا شقيقة رولى هي نفس « نح ـ تل ـ كا » كاهنة آمون في هـذه الحياة . فقد كانت تحب شقيقها اكثر من العالم اجمع حباً غريبـاً في قوته . وفي الواقع كانت تتمني قطع يدها اليمنى فقط لو كان في ذلك ساعة يقضيها رولى في سعادة وهناء واعلم أيضاً علم اليقين ان الفتاة لم تهتم لحظة واحدة بطالبي الزواج مفضلة البقاء في جوار شقيقها . ولولا علاقتها الخاصة في هـذه الحياة لجعلت فيرونيكا شقيقها بلا مراء اليفها المعبود . وفي الواقع توفيت الفتاة بعد وفاة شقيقها بشهر واحد حسرة عليه

أما فيما يتعلق بالاوراق التى استغرقت بالطبع وقتاً طويلا فى حل رموزها والتي تتضمن تاريخ حياة شخص كتبها بنفسه ـ فأقول انه لما كان ارثر رولى كتب هذا التاريخ وهو شبه نائم فقد دونه وهو لايزال تحت تأثير حياته الاولى وعلى ذلك لاغرابة اذا كان خطه يشبه الخط الذى كانوا يكتبونه في مصر أثناء حياته الاولى . وفي الواقع تبين لى من البحث والتدقيق أن كتابته تشبه تماماً كتابة قدماء المصريين وهى مكتوبة من اليمين الى اليسار

واخيراً أري انه وان كانت وفاة رولى حدثت لاسباب طبيعية فقد ارتبط بحياته السابقة بالاحلام بحيث توفى أيضاً في الوقت الذى توفي فيه في الازمنة الغابرة

أما فيما يتعلق بصحة الاسماء والحقائق التي ستذكر فيما بعـد فانني

لااستطيع أن أقول شيئا كثيراً عنها لاني لست متضلعاً في تاريخ مصر القديم . وكانت أسماء الاشخاص مختصرة كثيراً نظراً لمعرفة الكاتب بهم وعلي ذلك اضطررت فى كثير من الاحيان الى الحدس والتخمين فيما يتعلق بشكلها ونطقها الاصلي

واني مدين للاستاذ جاندر الرحالة الشهير والعالم في الاثار المصرية في معرفة الحقائق التي ذكرت او أشير اليها ولما قدمه اليّ من المعلومات الثمينة فانتهز هذه الفرصة لاعلن عن امتناني له

ويؤخذ مماقاله الاستاذ جلنزان وقائع هذه الرواية حدثت في أواخر حكم الاسرة العشرين المصرية نحو ١١٠٠ قبل الميلاد وهي تتفق كثيراً مع الحوادث المعروفة في تلك المدة عدا بعض نقط قليلة يرون بشأنها نظريات متضاربة . وعلى ذلك لايمكن الحكم بصفة باتة بانها غير صحيحة

وهناك أشياء كثيرة أخري لا يستطيع الانسان أن يعلم بصددها شيئاً ولكن اذا حكمنا من الحقائق الاخري التى ثبتت صحتها فانه ليس ثمة مايحول دون أن تكون هذه الامور حقيقية كذلك

ويقول الاستاذ جلنز أن القصة في مجموعها تبعث على الاعتقاد بانها صحيحة يمكن الاعتماد عليها وعلى ذلك فهي تكشف كثيراً من غوامض تاريخ تلك الازمنة . على أن المدهش في ذلك كله أذورلى نفسه لا يعرف شيئاً مطلقاً عن مصر القديمة أو تاريخ المصريين ـ حتى ولا كلمة «خم» التى كانت تطلق قديماً على مصر . وعلى ذلك أدع الرأى العام يكون فكرته في هذه المسألة لان غرضي الوحيد هو أن اقدم ما تضمنته الاوراق الى العالم كما تلقيتها تماماً

أما فيما يتعلق بالاوراق نفسها فقد استغرقت مدة طويلة في حل رموزها ومدة أخري أطول في ترتيبها لان نصفها فقط كان منمراً . وأ كاد لم أعدل فيها شيئاً أو ادخل عليها تغييراً اللهم الا اذا تطاب الامر ادماجها لجعلها كلها قصة واحدة متصله ثم تقسيمها الى فصول مساعدة للقارىء وبعض شروح قليلة في الهامش وضعتها بمعاونة الاستاذ جلنز

وأخيراً تركت الفراغ الذي عثرت عليه في القصة كما هو . ومن المحتمل جـداً انه لم يقع شيء يستحق الذكر اثناء ذلك لان الحقائق المهمة والحوادث كلها مذكورة كما هي .

ويحزنني أن أقول انى عثرت فى القصة على جزء مكتوب بقلم رصاص خفيف على بضعة أوراق ملوثه بحيث لم استطع لا أنا ولا أصدقائى أن نحل رموزها ولذا سيبقي ما كان مكتوباً بتلك الاوراق سراً الى الابد . على انه لا يسعنا الا الابتهاج لاننا لم نعثر على كثير من هذه الاوراق التى لم نستطع قراءتها

بهـذه المقدمة الوجيزة أقدم الى القراء القصة التى اشتملت عليها قصاصات الورق التى أرسلها الى ارثر رولي الذي كان ضابطاً بفرقة المدفعية الملـكية والذى في اعتقادي ولد منذ ألوف من السنين وعاش ثم مات في أرض الفراعنة المملوءة بالغرائب والعجائب

اوراق ارثر رولى

الفصل الاول

جلست فوق صخرة بارزة فوق نهر النيل اتمتع باشعة الشمس المنعشة التي يرسلها المعبود رع . اله الشمس ، على أرض مصر اليانعة الجميلة . وكان جالساً الي جانبي الصبي منتنخ ـ وكان من سني ـ فأخذنا نراقب معا جماعات العبيد وهم يشتغلون بقطع الاحجار على الشاطيء الآخر من النيل . وكان الصبيان الذين في سني يجدون دائماً ابتهاجاً في مشاهدة هؤلاء العبيد التعساء ويزيد ابتهاجهم لافلاتهم من الاعمال التي تنتظرهم في المنزل . وكنا في صباح هذا اليوم شديدى الاهتمام بصفة خاصة بما يجرى أمامنا

وكان رؤساء المحجر قد أتموا منذ أيام قليلة نحت تمثال كبير أمر فرعون المقدس أن يوضع خارج معبد « رع » في مدينة « آن » وكان الرجال في هذه اللحظة مشتغلين بجذب هذا التمثال فوق الطريق المرصوفة المؤدية الى حافة النهر .

وكان في وسعنا ونحن جالسين في مكاننا هذا ان نرى كل شيء بوضوح وجلاء . فقد كانت أشعة الشمس الباهرة تنعكس من ظهور عمال المحجر اللامعة وهم يشتغلون بكد في جذب التمثال الضخم والعرق يتصبب من اجسامهم لان الثيران التي جاءت بالتمثال من المحجر حلت قبل أن تصل الى الطريق المرصوفة الملساء

وكان العبيد يشتغلون تحت اشراف جماعة من الرؤساء الذين كنا

ترى سياطهم وهي تهوى علي أجسام كل من يظهر تراخياً في القيام بمهمته من العبيد في حين كانت أصوات هؤلاء المساكين تصل الي اسماعنا من بعيد

رأينا ورء هؤلاء العبيد فصيلة من الجند برماحهم اللامعة وخوذاتهم وكانوا من الجنود الزنوج المأجورين من سكان (كوش) بلاد الحبشة علي ما اعتقد . وكانوا واقفين يتولون الحراسة في جماعات صغيرة وهم يمثلون قوة فرعون المقدس وسلطانه .

أخذ هؤلاء الجند يضحكون ويتحدثون فيما بينهم بينما كان التمثال الضخم يجذب فوق الطريق المرصوفة الملساء . وكانت أوامر رئيس المحجر وهو راكب فوق التمثال وجلبة العبيد وصياحهم ووقع السياط على اجسامهم ـ كانت كل هذه تجتاز مياه سيحور (النيل) الهادئة وتصل الي آذاننا جلية واضحة

رأينا هذا المشهد كثيراً من قبل ـ لان مراقبة رجال المحجر كان من أعظم دواعي الابتهاج لدى ولدى منتنخ كلما استطعنا الافلات من العمل ـ ومع ذلك كان اهتمامنا به فى كل مرة لا ينقص عن اهتمامنا الاول . ولا عجب فقد كنا نرى كثيراً من الحوادث . واتفق مرة ان رأينا مسلة كبيرة سقطت فقتلت ثلاثة من العبيد كما حدث مرة ان انزلق حجر ضخم كان معداً لبناء باب أحد الهياكل فسقط فى الماء بحيث اضطروا الى تركه بعد ان اشتغلوا شهوراً عديدة فى نحته . وفى وسع الانسان ان يرى قمم كثير من التماثيل والمسلات بارزة فوق سطح الماء بعد انتهاء الفيضان .

مكثت مع رفيقى على هذه الحال نرقب العبيد وقد التفوا حول

التمثال كالنمل الى ان جاء فريق آخر من العمال لاستبدال رفقائهم في المرحلة الاخيرة. وكان جماعة أخرى من الرجال يهرعون في خلال ذلك الى نهاية الطريق المرصوفة حيث كانت تطفو مجموعة من خشب الارز اعدت لنقل التمثال في النهر الى مدينة « رع » المقدسة واعني بها مدينة «آن» ذات المعابد الكبيرة

على انه لم يكد يصل الى آذاننا تصفير عال وهو الاشارة لبذل المجهود الاخير لجر التمثال حتى سقط خيال بيني وبين الصبي وسمعنا صوت السمار مربيتي العجوز وهي تقول

ـ تعال هنا يا نزور أيها الكسول ! اين كنت هذا الصباح ؟ هل هربت من المنزل لتقضي وقتك في الكسل

ثم تحولت نحو الصبي رفيقي وخاطبته قائلة

ـ ان أباك يبحث عنك يا منتنخ

فهرع الصبي لان اباه كان سريع الغضب ولما توارى عن الانظار عادت مربيتي العجوز الى الكلام فقالت بلهجة أخرى

ـ تعال يا نزور . ان هناك أعمالا كثيرة اليوم تتعلق بي وبك

تملكتني الدهشة لتخلصي بهذه الوسيلة من عبارات الزجر والتأنيب التي كنت انتظر سماعها فتبعتها الى القرية الصغيرة التي كان يقطن بها ولي أمري وهو رجل كان يشتغل بقطع حشائش البردي وربطها

لم نكد ندخل كوخنا الصغير حتى جذبتني العجوز اليها وأخذت تفتش في صندوق صغير خشبي أخرجته من مكان خفي ثم خاطبتني بلهجة سرية غريبة قائلة

ـ أتدري ما هذا اليوم ؟

فأجبتها بلهجة الاستغراب قائلا

ـ كلا يا أماه

فاستطردت العجوز في حديثها قائلة

تمد مضى خمسة عشر عاماً الى هذا اليوم من شهر «باشونز» على مجيئك الي لاول مرة وانت طفل ـ ولا تسل عمن جاء بك الي ـ وتوليتى تربيتك والاهتمام بك ـ فأمامنا اليوم شيء كثير

دهت مربيتي العجوز بهذا القول وأخرجت من الصندوق ملفامن أوراق البردى وخاتماً صغيراً على شكل المعبود « خفيرا» اله الصحراء الغربية الذى يقطن على شكل جعران ثم قالت

ـ ألم تر هذه الاوراق وهذا الخاتم ؛ حسن . لقد أخذتهما من اليد نفسها التى جاءت بك الى هنا . وقد نقش هنا الاسم الذى استقر الرأي على ان ندعوك به واعني به اسم لنزور ولكني لا أظن ان هذا الاسم هو اسمك الحقيقى . ثم نقشت أيضاً هذه الكلمات وقد قرأها لي أحد كهنة مدينة «منف » وهي . «يؤتى بالصبي بعد خمسة عشر عاماً الى هيكل المعبود الاكبر «بتاح» في منف حيث ينال الشرف والكرامة وسيكون الخاتم العلامة التى يعرف بها » . وفي الواقع كلما جاء كاهن «بتاح» في اليوم التاسع من شهر «توت» كل عام لمفاوضة رئيس قريتنا يختلى بى أثناء زيارته ويقول لي : «لا تنسى خاتم خفيرا» . هذا كل ما هنالك . ان الامر غريب ولا أدري مايدل عليه ولكن يحتمل ان هنالك فائدة مالية

برقت عينا العجوز طمعاً وهي تطوى أوراق البردي ثانية وتخفي الخاتم بين طيات ثيابها . على انها لم تلبث ان استطردت في حديثها قائلة

ـ وربما كنت من أبناء الاشراف فلا تنس اذن مربيتك المسكينة العجوز . سنذهب اليوم الى مدينة منف لنرى هنالك ما يكون وعلى ذلك عليك ان تتأهب للسفر

تولتني الحيرة في الحال لهذا اللغز وما يحيط به من الاسرار الرهيبة. أأكون ابن احد الاشراف أو ابن أحد كبار موظفي بلاط فرعون أو ابن كاهن أو قائد في الحرس ! ارتبك فكري لهذه الاحتمالات وضايقتني مضايقة شديدة

ولكن من الغريب انني شعرت بارتياح لدى فكرة مغادرتي القرية لان نفسي كانت تعاف جداً الاشتغال بحشائش البردي . ومع انني تربيت بين أهل القرية فقد امتلأت نفسي من نحوهم بشيء من الضجر والسآمة بحيث لقبوني «بالمتكبر» . وفوق ذلك لم أر في حياتي مدينة «منف» التي اشتهرت بأسوارها البيضاء وابراجها العالية اللامعة في الشمال

لم يستغرق تأهبنا للسفر مدة طويلة لان مربيتي العجوز كانت قد خاطبت ولي أمري في امر سفرنا واتفقت مع احدى جاراتها على أن تقدم اليه الطعام عند عودته من العمل . وعلى ذلك لم تمض مدة وجيزة حتى أعد كل شيء فتناولنا طعامنا وذهبنا لاستعارة زورق أو استئجاره

وكانت مربيتي بخيلة شديدة الطمع بحيث تولاني الضجر والسآمة لما اظهرته من المماطلة في مساومة صياد أرادت ان تتفق معه ليأخذنا في زورقه الى مدينة منف . وكان شغفي شديداً لمغادرة القرية بحيث حاولت التدخل بينهمـا مرات عديدة فكانت تمنعني بكلمات قاسية الى أن أذعن الرجل في النهاية لشدة الحاحها ولمله اكثر من أي سبب آخر

وكانت الشمس قد أخذت تميل نحو الغرب عند ما سار بنا الزورق

في النهاية فوق مياه «سيحور» الهادئة. وكان تيار المياه يساعدنا على المسير فلم تمض مدة وجيزة حتي وصلنا الى أطراف مدينة منف ولو أنه خيل الي أن الرحلة كانت بطيئة لما تولاني من الرغبة الشديدة لمعرفة ما سيصيبني على أيدى كهنة المعبود بتاح

اخذت أتنقل بملل في الزورق الصغير الي أن امسكت العجوز بحزمة الاوراق الثمينة وأمرتني بلهجة شديدة ان الزم السكون والا غرقنا كلنا في النهر في حين صاح الصياد قائلا خير لي أن اشتغل بأحد المجاذيف .

لزمت السكوت عند ما نالني هذا التوبيخ وقلت في نفسي يجدر بي ان أطيع مربيتي مدة وجيزة أخرى اذا كنت سأصير بعد نبيل من أشراف مصر

أخيراً انتهت الرحلة لفرحي وسروري فرأيت أمامنا أسوار المدينة البيضاء وقد صبغتها الشمس عند غروبها بلون احمر ووصلنا الي محط رغبتي

رأيت المعابد والقصور والاسواق والامكنة الفسيحة المزدحمة وثكنات الجنود فأخذت احدق اليها النظر وقد تولتني الدهشة ، والزورق يسير بنا ببطء امام المدينة الي أن وصلنا الي مرة بجوار سوق صغير حيث ربط الصياد زورقه فنزلنا الي البر فأخذت مربيتي البخيلة مرة أخرى مساومة الرجل

وكان الظلام قد أخذ يخيم على الشوارع الضيقة عند ما أخذنا نسير في طريقنا الي منزل صديق لمربيتي قالت انه سنبيت عنده الليلة وقد وافقت على هذه الفكرة مرغماً لانى كنت أود الذهاب توا الي هيكل المعبود بتاح

على ان رغبتى هذه الشديدة لم تلبث ان خفت أو ضعت على أثر رؤية المناظر الغريبة التي تمثلت أمام عيني في المدينة . ولا عجب فانني لم أر في حياتي بلدة اكبر من القرية التي تربيت فيها . وعلى ذلك اغمضت عيني تلك الليلة ونمت في الزاوية التي اعدت لي عند وصولنا الي المنزل الذى استقر الرأى على المبيت فيه واعني به منزل منميرو النحات الذي يشتغل في هيكل المعبودة « سخت » التي يشبه رأسها رأس هرة

مررنا في المدينة في بكور اليوم التالي قاصدين هيكل المعبود « بتاح » لان مربيتي اتسمار أرادت ان تحضر الحفلة اليومية هنالك قبل ان تأخذ أوراق البردي والخاتم الي الكهنـة . وكنت من جهة أخرى أرغب في رؤية أشياء جديدة من المدينة وجلال المعبد المشهور الذى سمعت شيئاً كثيراً عنه في قريتنا الصغيرة

لم تقض مدة طويلة في التفافنا حول الأبنية العديدة حتى وقعت أعيننا على أعمدة الهيكل الضخمة الخارجية . وكان فوق كل عمود منها أربعة قضبان لحمل الاعلام التي انعكست عليهـا اشعة « هورس » أي الشمس المشرقة

اجتزنا باباً صغيراً بين كتلتين كبيرتين من الصخر قائمتين على شكل اسدين منحوتين وأختلطنا مع جماعة أخرى من المتعبدين الذين جاؤا مثلنا لرؤية حفلة الصباح التي تسمى حفلة كشف النقاب ثم دخلنا رحبة صغيرة مرصوفة بحجارة حمراء ملساء

وكان الظل يغطي نصف هذا الفناء القرمزي في حين كانت اشعة الشمس الذهبيـة تغشي النصف الآخر وفي الوقت نفسـه تضيء على قواعد الاعمدة الضخمة المصنوعة من الجرانيت الاسود قبل ان ترسل

بهاءها الى الاروقة المظلمة التي وراءها

لم يكن في وسع الانسان ان يسمع شيئاً اللهم الا وقع الاقدام الخفيف اثناء سير المتعبدين الذين صرنا ضمن عدادهم في فناء المعبد لانه لم يكن يجرؤ احد على التكلم داخل الهيكل الا بصوت خافت .

اجتزنا في الجانب الآخر باباً ثانياً مغشى بنقوش وكتابات غريبة . وكان هذا الباب يؤدي الى القاعة الكبرى الخارجية للهيكل نفسه وكان سقفه محمولا على اعمدة تنتهي برؤس تشبه زهرة اللوتس وينعكس داخله ضوء النهار المنبعث من الكوات الصغيرة المرتفعة في أعلى الجدران

وقف الناس في هذا الجانب من القاعة فأشارت الى اتسمار أن اتبعها فسرنا الى ان وصلنا الى الصفوف الامامية نحو اليمين واذ ذاك همست مربيتي في اذني قائلة

ـ لم يكن يسمح في الايام السابقة لعامة الشعب بالوصول الى هذه القاعة أو الي الفناء الخارجي الا في أيام الاعياد ولكن « خور همت » رئيس كهنة « بتاح » سمح اخيراً لهم بحضور حفلة « كشف النقاب » كل يوم على شرط ان لا يتجاوزوا الصف الثالث من الاعمدة

وكانت الحفلة قد بدأت عند وصولنا اذ شاهدت في قاعة داخلية ـ لا يفصلها عن القاعة الخارجية غير صف من الاعمدة ـ جماعات من الكهنة وكانوا يحملون ادوات ورموزاً مختلفة في أيديهم وهم واقفون جامدين خارج باب صغير مزين زينة بديعة تتدلي عليه ستارة قرمزية

أحدقت النظر وأخذ قلبي يدق بشدة خوفاً ودهشة . ولا عجب فانني لم اشهد في حياتي حفلة كبيرة مثل هذه غير الحفلات الصغيرة التي كنت أشاهدها في قرية ولي أمري

ارتفع من وراء الستارة القرمزية صـوت ترتيل مع نغمات حلوة رقيقة كانت تنبعث من وراء صفوف الاعمدة المظللة حيث رأيت خيال صبيان وفتيات في سني بثياب بيضاء

تلاشت الاغنية وساد السكون وأخذت سحب خفيفة من لدخان ترتفع ببطء من مباخر يحملها بعض الـكهنة

تعالت الاصوات بالغناء والترتيل ثانية وسجد الـكهنة ثلاثاً وعلي أثر ذلك فتحت ستائر المقصورة الداخلية فجأة وظهر من خلالها رئيس الـكهنة ووقف مولياً وجهه ورفع يديه الي السماء

وكان رئيس الـكهنة رجلا معتدل القوام مملوء الجسم تجاوز الخمسين، حليق الرأس واللحية حسب عادة جميع القديسين . وكان يلبس حول عنقه وجسمه رموزاً وصوراً دينية مختلفة، وقد عرفت من بين هذه الرسوم بصفة خاصة « الزورق المقدس » للمعبود « خونسو » حامي قريتنا المقدس . في حين كان فوق ردائه جلد فهد ناعم صنع على شكل ثوب خارجى

وقف رئيس الكهنة علي هذه الحال هنيهة وتقدم اليه احد الكهنة ووضـع شيئاً ملفوفاً في قطعة من الـكتان الابيض في يديه فتناوله رئيس الكهنة ثم اختفى ثانية وراء الستارة

سألت مربيتي بصوت خافت عما يجري فقالت ان رئيس الكهنة أخذ تمثالا صغيراً للمعبودة « ممات » الهة الحقيقة ليقدمه الي المعبود « بتاح » العظيم . وكانت العجوز تتكلم برهبة فقالت ان هذا اعظم جزء مقدس في الحفلة لان المعبود يعود الي الحياة في تلك اللحظة كل يوم ولوانه لايري « كشف النقاب » داخل المقصورة أحد غير رئيس

الكهنة وحده

اوقد الكهنة في هذه اللحظة أربع مباخر اخري فتصاعد البخور فجأة وملأ الهيكل برائحة زكية وعندها ظهر رئيس الكهنة ثانية قائلا

ـ مرحباً بالمعبود بتاح القوى العجيب ذي الاشكال المتعددة ، بتاح الخالق ، متعدد الوجوه . لقد صحا المعبود !

تعالت أصوات الغناء والترتيل اذ ذاك فجأة فانبطح الجميع على وجوههم وخروا ساجدين فوق أرض المعبد المصنوعة من الرخام . وكان قد تطرق الي نفسى في ذاك الوقت شيء من جلال هذه الاعمال ورهبتها فانبطحت على وجهي كذلك واخذت أصلى الي المعبود « خونسو » ليتوسط بيني وبين المعبود الاكبر « بتاح »

جلست مع مربيتى اتسمار في كوة منحوتة في الجدران الضخمة بسكون بينا أخذ المتعبدون يقدمون القرابين من الخبز والخمر الي الكهنة . وقد قضيت وقتي في فحص الاعمدة الضخمة والنقوش البديعة التى حولها باهتمام شديد . اما مربيتي فكانت تمسك الخاتم بحرص وهي جالسة في الظل تنتظر بصبر حتى ينتهي الكهنة من أعمالهم

أخيراً مر بنا كاهن حليق الرأس فلما وقع نظره علينا سألنا عما نريد فأخرجت أتسمار عندها ملف الاوراق والخاتم وأرتهما اياه وأخذت في الوقت نفسه تشرح له مهمتها . فتملكته الحيرة علي مايظهر ولكنه امرنا مع ذلك بلهجة لاتخلو من الشدة أن ننتظر خارجاً في فناء المعبد ثم اختفى من باب صغير جانبى يؤدى الي القاعة الخارجية

على انه عاد بعد مدة وجيزة وبرفقته شاب يرتدي ثياباً فاخرة مزركشة طويلة وعلي رأسه قلنسوة طويلة مزينة بالريش الملون ومحبوكة

بعصابة قرمزية اللون . وقد أخبرنا الكاهن ان هذا الشاب من كتبة معبد بتاح وعلى ذلك أرته مربيتي أتسمار اوراق البردى بعد تردد طويل

فحص الكاتب الاوراق بدقة وكذا الخاتم ثم نظر الي نظرة طويلة حادة شعرت على أثرها بشيء من الخجل لظهوري بثيابي لرثة أمام مثل هذا الشاب النبيل الذي يرتدي مثل هذه الثياب الفاخرة

أخيراً أشار الشاب الينا لنتبعه فأذعنا لأمره عن طيب خاطر وسرنا الى اليمين نحو المدخل الداخلي ومنه الي دهليز طويل به أعمدة عديدة قائمة حول القاعة الخارجية ومن ثم الي سلسلة غرف مملوءة بأدوات غريبة . وقد رأيت في كثير من هذه الغرف كهنة كانوا يشتغلون بهذه الادوات أو بالكتابة والتصوير على اوراق كبيرة من الجلد

أخيراً دخلنا غرفة صغيرة بها دواليب من خشب الارز داخلها مئات من مجلدات ورق البردي . وفي الواقع لم أر في حياتي مثل هذا العدد من الكتب لان الرجال في القرية التى تربيت بها قلما يملكون ملفاً من الاوراق واذا وجد معهم اخذوه الي مدينة منف لقراءة مافيه

غادرنا الشاب في هذه الغرفة وحدنا وسار في طريقه مجتازاً بابا اسدلت عليه ستارة قائلا « انتظروا » وكانت مربيتي اتسمار مضطربة في ذلك الوقت على ما يظهر اذ رأت نفسها في مكان من المعبد لم تزره من قبل . اما انا فلا أنكر انني شعرت بدهشة وارتباك

عاد الكاتب المقدس بعد قليل وبرفقته شيخ تحف به المهابة على رغم تقوس ظهره . له عينان سوداوان حادتان . وقد عجبت من امر

هاتين العينين لانهما كانتا واسعتين حالكتي السواد . ومع ان الشيخ كان في الحقيقة ينظر الي وجها لوجه فقد خيل الى ان عينيه تخترقان جسمي وتنظران الي شيء ما وراءه

صاحت السمار على أثر دخوله بصوت مضطرب قائلة .

ـ تحية وسلاما أيها السيد خرهب (ومعناها الساحر الاكبر) العظيم الشأن

ثم القت نفسها على الارض بحالة اضطراب أما أنا فبقيت واقفاً على قدمي لاأدري من يكون هذا الرجل

مكث الشيخ بضع دقائق وهو يفحصني بعينيه الثاقبتين ويهز رأسه ببطء علامة القبول في حين أخذت أشعر بالخوف يتسرب الى قلبي شيئاً فشيئاً من نظراته

أخيراً تحول الرجل وخاطب الكاتب ببعض كلمات فأخرج الشاب عندها من ثيابه كيساً صغيراً من الكتان به نقود ذهبية ثم أشار لي مربيتي ووضعه في يدها المضطربة

قال الكاهن الشيخ بصوت هادىء خافت

ـ لقد قدمت الي المعبود الاكبر بتاح خدمة جليلة . الان اذهبي

فقالت مربيتي ويداها تمسكان بكيس الذهب

ـ اذا كان لنزور قد صار نبيلا عظيما فلا ريب . . .

ـ أن لنزور سيمكث هنا ولا ترينه بعد الآن

انتفض جسمي عند سماع هذه الكلمات فخاطبني الكاتب عندها قائلا وهو يبتسم

ـ كلا . لاتخف أيها الصبي . لايصيبك أذى

ثم تحول الي مربيتي العجوز وقال

ـ هل سمعت ؟

فقالت أنسيار

ـ نعم أيها العظيم ولـكن ولدي . . .

ـ لم يعد ولدك بعد الآن . انه مدعو لأمور عظيمة

ترددت العجوز مع ذلك بدافع حبي على ما يظهر فشعر قلبي بميل كبير نحوها لم اشعر به في خلال الاعوام المديدة التى اكرهتني فيها على العمل لاجلها ولاجل بعلها

استطرد الشيخ في حديثه قائلا

ـ لقد نلت مكافأة على خدماتك فأذا انصرفت الآن دون كلمة ولزمت الصمت فيما يتعلق بهذا الامر فانك تنالين مكافأة كهـذه كل عام فى التاسع من شهر توث على يد الـكاهن الذي يأتى من منف الآن اذهبى !

تحولت مربيتي اذ ذاك وانصرفت دون أن تفوه بكلمة واحدة ودون ان تلقى على وجهي نظرة فأدركت اذ ذاك لاول مرة أن الذهب حياتها الوحيدة وولدها الوحيد ومعبودها الوحيد ولم أرها بعدها

صرف « حرهب » الكاتب على أثر ذهاب مربيتي ثم أمرني بالجلوس بصوت حنون فجلست فى طرف مقعد غريب منحوت وقد تملكني الاضطراب

جلس الشيخ بجانبي ثم قال

ـ لنزور . لان هذا اسمك الى اليوم ـ لقد بلغت الان الخامسة عشرة من عمرك فمن الصواب أن تعلم شيئاً عن نفسك والشرف الذى استدعيت له

تغلب عجبي على عواطفى لما اظهره الشيخ نحوي من الحنان

فسألته قائلا

ـ هل انا ابن أحد نبلاء قصر فرعون ؟

فلم يجيبني الشيخ بكلمة بل نظر الي بعينيه السوداوين الى أن شعرت بخجل وخوف من السر ومعرفة السر الذي أخفى عني

عاد الشيخ الى الكلام بعد هنيهة دون أن أقاطعه قائلا

ـ لقد فرغت منذ الآن من حياتك الريفيـة فهي الآن في عداد الماضي فلا تذكرها بعد . انك استدعيت كما قلت لك لأمور عظيمة ـ لاحظ أيها الصبي انك استدعيت ولم يقع عليك الاختيار . وستمكث هنا في هيكل بتاح سبع سنين لتتعلم في خلالها ما يؤهلك للمركز الذي ستشغله . وسيلقنك ولدي ساست ـ الذي سيكون حرهب رئيس سحرة الهيكل بعد انتقالي الى احضان اوزوريس ـ سر بتاح الخالق وطقوسه الدينية وسيعلمك بيتي رئيس الكتبة كتابة الكهنة وسأعلمك أنا تاريخ مصر القديم وواجبات الملوك والامراء والاشراف وفوق ذلك سيعلمك ولدي الآخر امينمحت كيف تكون جنـدياً ماهراً تقاتل بالقوس والنشاب والرمح والسيف والصولجة

أمسك الشيخ عن الكلام هنيهة في حين أخذت أتململ في مقعدي ، لا أكاد اتملك عواطفي من شدة الابتهاج والفرح . وحينئذ عاد الرجل الى الكلام فقال

ـ ستقضي سبعة أعوام على هـذه الحال التي وصفتها لك . حافظا عقلك من الشرور ، جاعلا جسمك مستقيما قوياً وروحك نقية طاهرة أمام الآلهة . فاذا سلكت بعد انتهاء هذه المدة سلوكا حسنا صادقا استشير في امرك الكاهن الاكبر ابيل خورهمت فيمن يعلم كل شيء

وعندها تشغل المكان المعد لك. أما اذا كنت من معدن وضيع منحط القيمة.

أمسك الرجل عن الكلام فجأة ثم نظر الي مرة أخرى نظرة شديدة من تحت حاجبيه الاشيبين الى أن تملكني الرعب فقفزت وصحت قائلا

ـ سأبذل اقصى جهدي وحق المعبود خونسو

تبسم الشيخ لقولي هذا ثم وقف ووضع يده على رأسي وتمتم قائلا

ـ انك لا تزال شاباً صغيراً ولكنك بطل الرواية التي ستمثل بعد بضع سنين في ارض مصر

قضيت بقية ذلك اليوم مع ساست وامينمحعت ابني خرهب وكلاهما يزيد عمره عني عشر سنوات فأصدرا امر هما بحرق ثيابي الرثة وأعطياني بدلا منها ثيابا تليق بمركزي الجديد وعرفاني أين آكل وأين أنام. على انهما لم يشرعا في هذا اليوم في القيام بشيء من واجباتي بل قضيا الوقت فقط في شرح الطريقة التي أسير عليها في المعبد

ومع انهما كانا يعاملاني في أغلب الاحيان كما يعامل المعلم تلميذه الا انهما كانا في بعض الاوقات يخاطباني بلهجة تنم على الاحترام والاجلال الشخصي . ولعمري تولتني الحيرة وقلت ترى من اكون حتي يظهر لي مثل هذين النبيلين دلائل الاحترام والاعظام مع انى لست الا ربيب رجل فلاح قضيت حياتي في القرى

صليت تلك الليلة في غرفتي الصغيرة التي أعدت لي ـ الى المعبود بتاح الذى صرت الان تحت عنايته أن يجعلني جديراً باحترامهما ـ خصوصاً احترام ساست

شرعت أتلقى دروسى في اليوم التالي فأخذت فى الصباح أتعلم بارشاد ساست تاريخ آلهة مصر : ازوريس وست وايزيس وقوة

بتاح العجيبة

رأيت ايضاً ـ ولو أن ذلك لم يكن ضمن دروسي ـ ان عيني ساست تشبهان تماماً عيني أبيه خرهب الساحر اللتين أدركت في اليوم السابق ما لهما من التأثير والنفوذ . وقد زاد اعجابي به ثلاثة اضعاف عند ما أخذت أدرك مبلغ ما في تينكما العينين من القوة التي تدل على أن صاحبهما يعرف أسرار الآلهة ويعرف كيف يستخدمهما

لما فرغ ساست من القاء درسه أخذ بيدي رئيس كتبة الهيكل يعلمني فائدة كتابة الكهنة وقراءة اللغة الهيروغلوفية القديمة . وقد شعرت بميل شديد الى تعلم الكتابة وزادت رغبتي في الوقوف على ما تضمنته ملفات البردي العديدة التي رأيتها مع مربيتي اتسمار في الغرفة الصغيرة وكذا كنت اتوق الى حل رموز الكتابة المنقوشة على اعمدة الهيكل وجدارنه وهكذا كان في وسعي أن أزيد معلوماتي بمجهوداتي

ذهبت بعد الظهر الي امينمحمت وهو مقاتل قوي الجسم عريض المنكبين ، يختلف عن شقيقه ساست الذي كان طويل القامة نحيف الجسم والذي كانت قوته في روحه لا في جسمه

لم تمض مدة وجيزة حتى عرفت بارشاد امينمحمت الاسلحة المختلفة التي يستخدمها الجنود وكيفية استعمالها . وكنت اقضي ساعات طويلة مملة في التدريب على الرماية بالقوس والنشاب والصولجة في مكان فسيح وراء الهيكل الى أن تغرب الشمس وراء الافق

زرت " خرهب " الشيخ مرة أخرى فأخذ يعلمني تاريخ مصر القديم من اوراق البردي وكنت أميل الى معرفة تاريخ بلادي اكثر من كل شيء آخر . ولا عجب فان تاريخ مصر العزيزة ومجدها

العظيم قد زرع فى قلبى حب الخير لها والتفاني في خدمتها . . .

(وهناك يوجد فراغ في القصة يتناول حوادث نحو سبع سنوات على ما يظهر)

الفصل الثالث

كنت جالسا صباح ذات يوم في غرفة الكتب ادرس ملفات اوراق البردي الخاصة بحروب رعمسيس المقدس الذي كان فيما مضى فرعون مصر والذي انضم الان الى احضان اوزريس ـ اذ جاءني احد الكهنة واخبرني ان خرهب المقدس يريد مقابلتي

ذهبت في الحال الى الغرفة التي كان يقطنها خرهب الشيخ قبل موته وهو الساحر الاكبر الذي يشغل وظيفته الآن ابنه ساست صديقي

أخذ ساست عند قدومي يضع بضع ملفات من الرق عليها نقوش ورموز سحرية كان يشتغل بها في اماكنها ولما فرغ من ذلك جلس أمامي وقال

ـ لقد أرسلت في طلبك أي لتزور لكي اخاطبك في أمر جليل الشأن فعليك أن تلاحظ ما سأقول. تعلم انه هذا شهر «باشون» وهو الشهر عينه الذي جئت فيه الي هذا المعبد منذ سبع سنوات . وقد تعلمت فى خلال هذه المدة كل ما تجب معرفته وتهذبت على يدى وعلى يدى والدي الذي ذهب الان الي احضان اوزوريس في آمنتي (مسكن الارواح عند المصريين القدماء) وعلى يدي اميمحمت أخي ويدي بيتى الشيخ . وقد اظهرت في خلال مدة تعليمك من الصفات ما أثار اعجابنا بك وارتياحنا . وبناء على ذلك قد رضى « خورهمت » نفسه عنك وأمرنى ان أتكلم وعلى ذلك من اللائق يا لتزور ان نعلمك بعد ان بلغت سن الرشد ـ من انت وما الذى ستدعت لأجله

امسك ساست عن الكلام هنيهة ثم مال نحو المنضدة وعاد الي الكلام فقال

— هل تريد ان تخدم وطنك المحبوب مصر ؟

فأجبته قائلا

— نعم حتى ألفظ النفس الاخير

ولا عجب فقد تملكني حب بلادي المحبوبة الجميلة، ارض الشجعان والنبلاء والنساء الحسان ، ارض الاديان والاسرار التي يرجع عهدها الي العصور المظلمة التي حكم فيها ابناء «هورس» الارض . ارض آبائي واجدادي ، ارض خم الخصباء .

ابرقت عينا ساست ابتهاجا وقال

— اعلم ذلك . لم اعلمك وحق اوزيريس كل هذه المدة الطويلة عبثا وفوق ذلك اخبرني شقيقتي امي محمت انك اظهرت مهارة فائقة في ضروب الحرب والقتال

ضحكت ابتهاجا لان مكانتي علت في نظري الان وقد مضى وقت تجربتي وفي الواقع هذا ما يشعر به الشاب اذا كانت امامه اعمال جليلة لان الانسان لا يستطيع ان يرقي المناصب العالية ويحتفظ بها اذا كان يعتقد في قلبه ان هناك كثيرين آخرين يستطيعون القيام بها خيراً منه .

ولعمري كنت مقاتلا شديد البأس بآلة الحرب التي تسمي الصولجة (وهي آلة مكورة الرأس تستخدم لكسر الدروع) وجعلتها سلاحا رهيبا في يدي بما اضفته من الاسنة الشائكة في رأسها التثقيل . وقد اظهرت كذلك مهارة كبيرة في القراءة والكتابة وتعلمت فوق ذلك شيئ من السحر من ساست الذي كان مثل ابيه يحل الاسرار الخفية

كأنه يقرأ فى كتاب مفتوح . وعدا ذلك كانت لديه روح تساعده كثيراً فتظهر له فى الاحلام وتخبره كثيراً من الاشياء التي تخفى عن انظار البشر أخيراً قال ساست بعد أن نظر الي مليا

ـ لا اخالك تجهل يا لنزور ان الامور فى مصر اليوم ليست كما يجب فقد ضعف مجد ابناء رعمسيس ، المعبود العظيم كما يضعف نور القمر بعد أن يكون بدراً الى ان صار الملك رعمسيس الثانى عشر الذى يحمل الان تاج مصر المزدوج ألعوبة لشيخوخته وضعفه . لا يعنلك الاشيئا ضعيفاً من السلطة الملكية . على أن هذا مع ذلك لا يدعو الى الاسف ـ لانه كثيراً ما حكم الوزراء فى الايام السابقة بالحكمة واصالة الرأي فى حالة ضعف الملوك ـ لولا كهنة آمون الذين يقبضون على زمام ذلك الملك ويحركونه كما يشاؤون

ثم تغيرت لهجته بلهجة الجد وقال

ـ ليس كهنة آمنون الذين يوحد هيكلهم فى مدينة « نى ـ آمون » الجميلة ـ مثل كهنة بتاح ، لاننا ـ كما رايت فى حفلة كشف النقاب ـ لا نمنع احداً من الحفلات الدينيـة والوقوف على اسرار الآلهة لـكي يستمد الجميع القوة والعزاء من الدين . أما كهنـة آمون فلا يريدون الا الاستئثار بالسلطة واخفاء الدين عن الشعب لـكى يرهبوا بذلك الناس ويخضعوهم لارادتهم . ولعمري طمع حرحور رئيس كهنة آمون فى العرش عند موت فرعون وله الحق فى ذلك لانه من الاسرة الملوكية

فسألته قائلا

ـ وكيف ذاك ؟

فأجابني ساست قائلا

هكذا : تزوج ابوه آمون ـ حوتيب وكان رئيس كهنة آمون قبل حرحور .. بالسيدة آست وهي اميرة من الاسرة الملوكية وابنة رعمسيس السادس فرعون مصر في ذاك الوقت وشقيق الملك الحالي الاكبر وعلى ذلك يكون حرحور على رغم تقدم سنه ابن شقيقة فرعون الاميرة آست وفوق ذلك من أسرة عريقة

فسألته قائلا

ـ ولكن أليس لفرعون ولد من زوجته الملكة يحول بين هذا المغتصب وبين العرش ، لانه مغتصب بلا مراء ؟

ـ يوجد فعلا أمير يستطيع أن يدعي انه ولد فرعون وهذا الامير يدعى سيتو ولكن لا أهمية له

ـ ولأي سبب ؟

ـ لانه لم يولد من الملكة بل من امرأة أخرى هي شقيقة حرحور الكبرى وعلى ذلك فهو من زمرة خاله . وفي الواقع من المعروف جيداً انهم اتفقوا على ان يتنازل سيتو الذي لا تهمه سلطة الملك والقوة ـ عن جميع القابه وحقوقه لخاله حرحور . ولعمري سلك الامير سيتو سبيل الحكمة لانه لا يستطيع الوقوف في وجه خاله لكي يحول بينه وبين العرش اذا ما انتقل ابوه الى احضان ازوريس

ـ اذن يؤخذ من قولك هذا أن حرحور هذا رئيس كهنة آمون سيصير فرعون مصر على كل حال بعد موت فرعون المعبود لانه من الاسرة الملوكية من ناحية أمه ومنافسه الوحيد ابن أخته الذي تنازل له عن حقوقه

فهت بهذه الكلمات بامتعاض شديد ولا عجب فقد كنت انا ايضاً

أمقت كهنة آمون في قلبي كغيري من الذين يعبدون « بتاح ». وعندي صدق ساست فيما قال فقد كان هؤلاء الكهنة خادعين غادرين يعملون لمصلحتهم دون خير الشعب ورفاهيته . وفوق ذلك لديهم ثروة طائلة في البلاد و نفوذ عظيم خصوصاً في طيبة حيث يقيم الفراعنة منذ اجيال عديدة

فكرت هنيهة ثم عدت الى الكلام وقلبي مفعم بالغضب قائلا

ـ يخيل الي أي ساست انه اذا جلس كاهن من كهنة آمون على العرش فان الامور تجري سيئة فيما يتعلق بالمعبود بتاح واتباعه الذين يسعون دائماً لعمل الخير لان كهنة آمون ذوو نفوذ عظيم وفوق ذلك سينضمون الى كهنة رع في مدينة آن المقدسة

فقال ساست مرة أخرى

ـ لقد نطقت بالصواب

وقد لاحظت انه يراقبني بدقة وانا أقلب المسألة في فكري . وكان غضبي يزداد ثورة كلما فكرت في ان الامور ستجري على هذا المنوال في بلادي المحبوبة

استطرد صديقي في حديثه قائلا

ـ يجب أن لا يكون ذلك

فقلت وقد غلى مرجل غضبي

ـ بلا وحق الآلهة . ولكن من ...

رأيت اذ ذاك كيف استخدم ساست شعوري بواجبي وحبي لبلادي فقادني الى الغرض الذي يرمي اليه اذ لم يمض أن قام من مقعده وسجد امامي وصاح فجأة بصوت كالرعد قائلا

ـ أنت ! أنت أي رعمسيس ، الامير الوراثي ووارث ارض مصر العليا والسفلي ، أنت وليد الدم الملوكي ، ابن فرعون ومن بيت « ست ـ ان ـ خوتي » الشريف

قفزت مذهولا ووقفت ذاعراً فاتي جاحظ العينين ، ينبض دمي في عروقي بشدة وخيل الى ان الغرفة الصغيرة تمود بي

مكثت لحظة لا اصدق ما سمعته اذناي . ولا عجب فقد ذهلت وغاب ادرا كي لهذا النبأ المدهش ـ اذا كان حقاً . ومع ذلك كان ماقاله ساست ا كبر من أن يكون فرية افتراها ـ اذن هي حقيقة

ترى ما الفائدة من تعليمي كما لو كنت أميراً من الامراء ؟وماالسر فيما كان يظهره المعلمون والكهنة لي من الاحترام والاجلال ؟ وما السبب في المجيء بي الى معبد بتاح ؟ وجدت فى الكلمات التي فاه بها ساست شرح كثير من الاسرار التي حيرت فكرى

قلت فى النهاية بصوت خافت

ـ قم ايها الصديق فاني لا أريد رؤيتك على هذه الحال

قام ساست ثم وقف أمامي بسكون

جلست في مقعدى ثانية خائر القوى وقلت

ـ اخبرني الان هل ما ذكرت هو الحقيقة ؟ هل انا حقاً ابن فرعون أو هل لست الا شاباً منحط المولد جئتم به على هذه الحال لتغتصبوا العرش وتطردوا الذين يحرسون المعبود آمون الا كبر ؟!

ـ بلى انك الامير رعمسيس ابن فرعون كما اخبرتك بذلك الآن . ان قصتك طويلة مملوءة بالغرائب وهذه خلاصتها :

« مات الامير لاول شقيقك قبل ولادتك وقبل أن يتولى ابوك

الملك لانه صار فرعون مصر بعد أن شهد فيضان سيحور (النيل) ستين مرة . وقد ولدت ايها الامير بعد أربع سنوات من زوجة ابيك الملكة لان اباك كان قوى البنية على رغم تقدم سنه . وبعد ولادتك بقليل حملت شقيقة حرحور بالامير سيتو الامير الحالي وهو شقيقك من ابيك

« اتقدت نيران الغضب فى نفس حرحور عند ولادتك لانك لما كنت مولوداً من الملك والملكة كنت الحائل بينه وبين العرش الذى يتوق اليه منذ ثلاث وعشرين سنه.وعلى ذلك اتفق ذات يوم ـ وأنت لا تزال طفلا صغيراً ـ ان تمكن حرحور هذا من ان يقنع أباك فرعون بان السبع هاتورات ـ وهن شقيقات اللاتي يتنبأن بمصير كل طفل يولد ـ زرنه في المنام وتنبأن له بأنك ستكون سبباً في جر الويلات على رأس ابيك فرعون . ولا أدرى هل كانت هـذه النبوءة صادقة أو غير صادقة لان الآلهة تستطيع القيام باعمال غريبـة مدهشة لا نستطيع نحن القيام بها كما في وسعي انا « خرهب » المعبود بتاح أن أشهد بذلك

« وعلى كل حال اضطرب قلب فرعون اضطراباً عظيما . وسواء كانت هذه النبوة صادقة أو غير صادقة فقد لعب حرحور برأس ابيك حتى أمر في النهاية بقتلك . وقد كاد هذا الامر يتم لو لم تخفك امك الملكة وكانت فيما مضى كاهنة للمعبود بتـاح في منف ـ وتقدم طفلا آخر بدلا منك .

« على هذه الحال اذن جيء بك الينا وبواسطتنا اعطيت الى امرأة عجوز فلاحة لتقوم بتربيتك ولتكون فى مأمن لان كهنة آمون يبثون

العيون والارصاد في كل مكان »

وكانت قصة ساست الطويلة قد اعطتني فرصة للتفكير فقلت وأنا أكاد أخاطب نفسي

ـ اذن لهذا السبب تعلمت وتدربت

فتمتم ساست قائلا :

ـ ولا اظن انه ينقصك شيء مما يمتاز به الملوك والامراء

ساد السكون بيننا هنيهة الى ان قلت بحمية

ـ متى اتقدم لمواجهة هذا الكاهن المغتصب ؟

ألقيت هذا السؤال ونيران الحماسة تتقد في نفسي . ولا عجب فقد شعرت في نفسي بعد ان أدركت حقيقة الامور برغبة شديدة لاتمام الغرض الذي لاجله خلقت وتربيت

أجابني ساست وهو مطرق قائلا

ـ هناك امور عديدة يجب القيام بها . فيجب استشارة الآلهة أولا في الامر اذ يحتمل ان الوقت لم يحن بعد . ثم يجب بصفتك الامير الوارث للعرش ان تتلقى اسرار المعبود بتاح تليد والدنا الاكبر المبجل رئيس الكهنة المقدس كما انه يجب ان تتلقى احترام الموالين لنا في بلاد الدلتا واخلاصهم لك . وفوق ذلك يجب اعداد كل شيء للسفر اذ كن واثقاً ايها الامير رعمسيس ان كهنة آمون الذين يبثون العيون والارصاد في كل مكان لا يسمحون بوصولك سالما الي نى ـ آمون . ان عرش فرعون ليس بالشيء الصغير فلا يمنع حرحور شيء عن الاستيلاء عليه لنفسه ولنسله . نعم يجب القيام باعمال كثيرة قبل ان تستطيع القيام بمهمتك وستقام بعد ثلاثة أيام حفلة عظيمة مقدسة تقسم فيها امامنا

جيماً قسما رهيباً ان تخدم مصر المحبوبة فى كل شيء

فقلت معترضاً

ـ ولكن أليس في وسعي ان اشرع فى العمل حالا ؟

فاجابني ساست بارتياب قائلا

ـ ربما كان في وسعك ، من يدري؟ انذلك يتوقف على ارادة لالهة ولكن لا تنس انه لم يعد لاسم لتزور ذكري بعد الآن وانه جاء بدلا منه اسم الامير رعمسيس . ان حياة الامير ليست كحياة صبي فلاح كما ستجد ذلك حالا لان الحياة الملوكية مقرونة دائماً بالحفلات وتقديم الفروض والواجبات وأقل حرية من احط عبد وضيع لان السلاسل التي تقيد الملك الصالح مصقولة من الشرف لا من الحديد

فمددت اليه يدي وقلت

ـ ولكني لا أخسر اصدقائي يا ساست

فتبسم وقال

ـ كلا . ولكن هذا لاني صديق وقع عليه اختيار خورحمت نفسه بصفتي رجلا ذا مكانة عالية ، اصلح لمرافقة الامراء . ولو كنت مثلا رفيقاً فلاحاً لك . . .

هز ساست رأسه ببطء ونظر الي نظرة ابتهاج وسرور . على انه لم يلبث ان رفع صدره وقدم الي فروض التجلة والاحترام ثم قال

ـ هل يسرك يا مولاي الامير ان ترى خورحمت المقدس عند غروب الشمس ؟

تملكتني الدهشة لانني لم اكن بعد قد تعودت على اصدار الاوامر خصوصاً الى رجل أجله واحترمه مثل ساست فقلت بلهجة الاستغراب

ـ أحقاً ما تقول ؟

فقال ساست

ـ نعم يا مولاي

ثم حنى رأسه وغادرني وحيداً

قضيت بقية اليوم في ملاحظة التغيير الذي طرأ على سلوك جميع الذين في الهيكل نحوي . فكان الكهنة و لكتبة ورجال الموسيقى والكاهنات يقدمون الي فروض التجلة والاحترام اينما ذهبت لان الجميع تفقوا أمراً بان لا يخفوا عن انفسهم حقيقة امري . ولعمري اعتقد ان جميع من في الهيكل كانوا يعلمون من انا منذ أول يوم وصلت فيه وقعت مظاهر الاكرام هذه في نفسي موقعاً حسناً . لكني بدأت أشعر بعزلة وانفراد لان الذين كنت قد تعودت مصاحبتهم كاصدقاء كانوا يعرون الآن بي بمظاهر الاحترام التي تجب للامراء

أخيراً استولى على الضجر والتعاسة فالتجأت الى غرفتي لكي اقضي بها بقية يومي

جاء حورمحت نفسه عند غروب الشمس يرتدي ثيابه الرسمية . ولما شرع يخاطبني أيضاً بالقابي توسلت اليه ان لا يفعل لانني لم اشأ ان اسمع كلمات الاجلال من رجل أجله اجلالا عظيما قلما وقعت عليه عيناي فلبي دعوتي ولما جلست جلس أمامي على مقعد وأخيراً قال

ـ لقد راقبتك يا ولدي منذ قدومك الي هنا أي منذ سبع سنوات وانا الذي امرت ساست ليخبرك بما أخبرك به اليوم . والآن لا اخالك تجهل من أنت ؟

ـ نعم يا أبتاه لقد عرفت من انا ومع ذلك اشعر على رغم افتخاري

بمكانتى بخوف من جراء ما علمت

ـ هذا حسن لان على الملك أن يدرك تماماً ان التاج الذى يلبسه على رأسه مثقل بالتبعة . الآن اعلم يا ولدى انه وان كنت انت الامير الوارث للعرش وانا لست الا رئيس كهنة بتاح فانني طاعن في السن واسع الخبرة في حين لا تزال أنت شاباً وعلى ذلك أريد ان القى على مسامعك بضع كلمات عن خبرة ودراية فاعلم انك تحمل على كاهلك من الآن فصاعداً جميع متاعب وطنك ، مصر المحبوبة وويلاتها — كما تحمل أيضاً جميع هنائها . انك الربان ومصر السفينة . فلكي تستطيع السفينة ان تتغلب على عواصف الدسائس و لاديان الكاذبة واهر ق الدماء الذي يحيط بها يجب ان يكون الربان نقياً حراً مختاراً

ثم صاح الشيخ فجأة قائلا

ـ انظر الآن الى نفسك أيها الربان لان عليك تتوقف نجاة السفينة وسلامة بحارتها !

أمسك الكاهن عن الكلام ليمسح شفتيه ويستجمع قواه لانه كان طاعن السن ضعيف الجسم وبعدها عاد الى الكلام فقال

ـ لقد عشت الايام الاخيرة سجيناً في هذا الهيكل فلم تختلط بعد بالعالم الذي يجب أن تتوقي شروره . اذ ستجد في مركزك الجديد كثيراً من عوامل الاغراء التى تتهددك من حب الكسل والملاهي والطمع والرغبة في الحياة الهادئة والعزلة — ولكن يجب عليك أن تضع واجبك نحو بلادك وآلهتك فى المكانة الاولي . ستجد عوامل الاغراء محيطة بك حتى فى تعبدك لان هناك كثيرين جعلوا عبادة الآلهة سلماً يتوصلون به الى اطفاء شهوات قلوبهم واجسامهم لا الى ارضاء الآلهة . وعلى

ذلك لايبعد ان تقع في الشر وأنت تظهر بمظهر الخير — ولكن ضع مصر فى كل شيء نصب عينيك

وكان الرجل يحدق النظر الي وانا جالس أمامه مسنداً ذقنى بيدي فسكت هنيهة ثم استطرد فى حديثه قائلا

ـ واخيراً عليك ياولدي قبل كل شيء ان تحذر المرأة ـ أقول قبل كل شيء عليك ان تحذر المرأة لان حب المرأة سر غريب رهيب . ففى استطاعته أن يرفع الرجل الى مكان النجوم ويجعل منه شيئاً أعظم نبلا وكمالا مما يستطيع أن يفعل بنفسه وحده . وفى وسعه أن يجذبه الى أسفل سافلين : الى الظلمة ، الى النسيان ، الى جميع أنواع الشرور وضروب الرذيلة . أقول لك ياولدى ان المرأة على ضعفها واستكانتها أعظم سلطاناً من أقوي رجل بيننا . فى وسعها اذا شاءت أن تثنيك على رغم قوتك وشبابك ـ وتخضعك لارادتها مالم تحم نفسك بصلواتك وتوسلاتك الى الآلهـة من شر خداعها . ان الحب أعجب المنح التي اعطاها اوزوريس للبشر واغربها ـ ولكن حب الوطن أعظم من حب المرأة بل وأقوي وأطهر . فمصر يجب أن تكون فى المكانة الاولى أيها الامير على الاراضي العليا والسفلى ـ يجب أن تكون قبل الشباب ، قبل الثروة . قبل الحب ، بل وقبل الحياة نفسها

فرغ رئيس الكهنة من كلامه . وكان جسمه ينتفض من تأثير كلماته المملوءة حماسة وغيرة فى حين جلست أمامه صامتاً الى أن اجبته فى النهاية قائلا

ـ لن أنسى ماقلته ياأبتاه وسأعي كلماتك واحفظها فى صدري لكي اتبعها بالنفس والقلب والجسم . على انى لا أظن ان حب المرأة يثنيني

عن غرضي لأنه ليس للمرأة على من سلطان

فتبسم الشيخ ابتسامة فاترة وقال

ـ كلا أيها الامير لاتتكلم بمثل هـذا الشطط . لم تر الي الآن الاكاهنات بتاح هنا في الهيكل ولـكن لم تقع عيناك على النساء اللاتى يقطن في القري والمدن . ولعمرى يخيل الى احياناً ان الذين تمنحهم الآلهـة قلوباً طيبة للقيام باعمال نبيلة في الهيكل وعقولا لاتفكر الا بالآراء النبيلة البعيدة عن المطامع ـ لاتمنحهم وجوهاً أو اشكالا حسنة كذلك . نعم ياولدي لم تر الى الآن المرأة وهي فى مكانتها المفردة فاذا رأيتها فكن على حذر . ان الرجل يسوس اعماله في أغلب الاحيان بعقله أما المرأة فتسوس اعمالها بقلبها وحده ولا يستطيع احـد ان يتكهن بما ستفعل. فاحذر ياولدى ان تتسلط على أعمالك وتقودك من قلبك ـ ان تجربتك من هذه الوجهة كلها أمامك

ضحكت فى نفسى من هـذا القول ولـكنى لم افه بكلمة

أخيراً قام رئيس الـكهنة واستطرد فى حديثه قائلا

ـ ستقضي الايام الثلاثة المقبلة أيها الامير فى الصيام والتأهب والاستعداد لانك ستطلع على أسرار المعبود بتاح وتقف فى حضرته ثم تقسم اليمين الرهيبة وسيستشير ساست الساحر الاكبر النجوم فى اليوم الثالث أيضـاً ويقدم الى الآلهـة التماس فيما يتعلق بسفرك الي « ني ـ آمون » لـكي لا تضل الطريق فى هـذا الامر الخطير الذي يتوقف عليه الشيء الـكثير

الفصل الرابع

تمسكت فى خلال الايام القليلة التالية بمراعاة الطقوس الدينية الخاصة بتطهير الجسم واعداد العقل قبل الدخول على المعبود بتاح والوقوف فى حضرته فلم اذق شيئاً من اللحم أو السمك واقتصرت فى طعامي على أكل خبز القمح وشرب الماء الصافى وكنت أغتسل مرتين اثناء النهار ومرتين اثناء الليل فى ساعات تعينها الكتابة المقدسة

وكان يرافقنى دائماً كاهنان بسكون أينما ذهبت لكي يقوما بجميع حاجاتي حتي لاتتحول أفكارى نحو العالم . وفوق ذلك حظر على ان أفوه بكلمة واحده بصوت مرتفع بين شروق الشمس وغروبها وكنت اذهب كل صباح الى المقصوره الداخلية فى الهيكل لحضور صلاة « كشف النقاب » فأقف وراء رئيس الكهنة مباشرة عدا الاوقات الاخرى التي كنت أذهب فيها للصلاة للمعبود « بتاح »

وهكذا كنت فى جميع أعمالي بعيداً عن مشاغل هذا العالم . متفرغاً للعبادة ومناجاة الآلهة فى جو هادىء ساكن

قمت فى صباح اليوم الثالث قبل الفجر فاغتسلت ثلاثاً ثم ارتديت ثياباً ناصعة البياض طرزت عليها نقوش بديعة ورموز مقدسة وبعدها جاء خورحمت الاعظم فسرت معه فى ظلمة الليل وبرفقتنا الاباء المقدسون والكتبة والكهنة وكانوا كلهم يرتدون ثيابهم الكهنوتية الي ان صعدنا فوق أعلى برج فى الهيكل اذ كان على اثناء النهار ان أطلب مساعدة الآلهة بتقديم القرابين اليها فى الوقت المناسب

وصلنا الى قمة البرج فرأيت بجانب الشرفة التى تطل ناحية الشرق

شخصاً منفرداً أخذ يقترب منا وتبينته فاذا به ساست الساحر الاعظم وكان يقرأ النجوم طول الليل بآلات لا يعرف أحد غيره عنها شيئاً

لم يفه ساست بكلمة أو يبد أشارة الا عندما أخذ كل منا يقف في المكان المعد له ولكنه قدم فروض الاحترام أولا الي خورهمت رئيس السكينة ثم ناول رئيس الكتبة ملفاً من الورق وبعد ذلك سادت السكينة بيننا ونحن ننتظر طلوع الفجر

أخذت السماء تنير شيئاً فشيئاً كما فر « تيت » (الليل) نحو الغرب أمام جيوش حارمخو (النهار) المقدس التى أخذت تنتصر على جيوش الظلام والشر . وأخذت مسلات الهيكل وأبراجه المحيطة بنا تزداد وضوحا فى نور الصبح الجميل الى أن بزغ « هورس » (الشمس) فجأة وبان فوق الافق وسقطت اشعته الذهبية الاول بجلال وبهاء على اعلام البرج الملونة التي كانت ترفرف عالية فوق رؤوسنا

صاح خورهمت بصوت عال اذ ذاك قائلا

« سلام اى هورس المنتقم لاوزوريس !

« سلام اى هورس المولود من ايزيس !

« سلام أى هورس البازى الابدى !

فردد الجميع هذه التحية وقد أخذت أشعة الشمس تخترق سحب الشرق وتكسو رؤوس المسلات التى تخترق الفضاء بحلة ملتهبة وتصبغ جوانب الاهرامات البعيدة بلون ذهبي جميل فى حين كانت أصوات الكاهنات الرخيمة ترتفع وهن يرتلن قائلات

« الآلهة كلها ثلاثة : وزوريس ورع وبتاح

تلاشت النغمات الرائقة الاخيرة وتحولت الى سكون واخذت

اشباح المرتلين البيضاء تظهر شيئا فشيئاً كلما بددت أشعة الشمس سحب الضباب كما أخذت رائحة البخور الزكية تتصاعد فى الفضاء وقد وقف الكهنة بثيابهم البيضاء كالاصنام وسط هذا الجلال الرهيب

قدمت بعد ذلك قربانى الى المعبود « هورس » وبذا تم اعداد كل شيء فنزلنا لحضور الصلاة الخاصة « بكشف النقاب » حيث رتلت أغانى خاصة تتضمن استنزال البركات علي والتوسل الى المعبود بتاح لكي يعطيني علامة . ولما قام الكاهن الاعظم خورهمت بالطقوس الدينية المعتادة قدمت ذبيحتى الى « بتاح » الخالق الاكبر والى المعبودة « سخت » الهة الانتقام والعفة

وفي خلال ساعات الصباح جاء حاكم مدينة منف ووالي الاراضي السفلى وغيرهما من نبلاء الوجه البحري المعروفين بالولاء فقدموا الى الواحد بعد الآخر فروض الطاعة والاحترام بصفتي الامير وارث العرش واقسموا يمين الطاعة والولاء في اجتماع سري عقده رجال الدين

ولما فرغوا من ذلك خرجت الى فناء الهيكل الخارجي وقدمت قربانى الى المعبود « رع » ذي القوة بحضور الاشراف والكهنة والكتبة والاباء المقدسين والكاهنات والمرتلين والى ابنائه الذين يجلبون خيراته الى البشر وهم جونيت ومري وشونز

بعد انهاء هذا العمل الديني الجليل تألف موكب حمل الكهنة به جميع الرموز والصور المقدسة ، يتقدمه خورهمت رئيس الكهنة نفسه فذهبت في الحال الى الفناء الواقع خلف الهيكل حيث وضع « ابيس » العجل المقدس الذي يقطن داخله — اذا شاء — المعبود بتاح الاعظم نفسه

وكان حول الفناء مجموعة اعمدة تحيط به ، نقش عليها أشكال مقدسة وهناك وجدت العجل المقدس بين تلك الاعمدة . وكان اسود اللون عدا غرة بيضاء يحمل بين قرنية لوحة من الذهب نقشت عليها ألقابه بكتابة سرية

وقف الموكب فأخذ العجل يتقدم نحونا ببطء ثم مر أمامنا ثلاثاً الى ان وقف امامي فمد عنقه ومس يدي بأنفه فتمتم الحاضرون عندها فجأة وبعد ذلك تحول العجل واختفى في ظل الاعمدة عن الانظار . وقد همس ساست عند ما تحرك الموكب في اذني قائلا انهذا فأل حسن جداً

انصرف الاشراف والنبلاء بعد ذلك وذهب الكهنة لتناول طعام الظهر . أما أنا ـ وكنت لا أزال صائماً ـ فقد ذهبت برفقة حورهمت رئيس الكهنة وساست رئيس السحرة الى غرفة الكتب وهناك جاء بيتي رئيس الكتبة بالرق المكتوب الذي سلم اليه فى بكور ذاك اليوم فوق قمة البرج فتناوله ساست وقال

ـ هذه أيها الامير النبيل هي الكتابة التي دونتها من اسرار الكواكب الدوارة والتي لا تفني وهي الكواكب التى بت ليلة آمس ارقبها لاجلك ولاجل مستقبلك . وليس من السهل قراءة هذه الاسرار ولكن في وسعي ان استنتج امراً واحداً هو أن مهمتك ستكون مرضية وناجحة في نفسك ولو انها ستتحول الى حالة غريبة لان نجمك كان يزداد قوة اثناء سيره في الاجواء حتى جاء فى النهاية تحت نجم آمون ومنزله . ومن المدهش بعد ذلك ان نجمك كان يزداد بهاء اكثر من ذى قبل مع أنه سيكون فى مركز يدل على الشر والشؤم وهكذا يبقى مضيئاً لامعاً الى ان يختفى فجأة وراء الافق . هذا كل ما رأيته ايها الامير النبيل

وهو ليس جلياً ظاهراً على رغم انني خرهب ، سيد الاسرار . على انني أظن ان للآلهة يداً كبيرة في كل ذلك فوضعت ستاراً الى عيني

وقف ساست عن الكلام ثم ختم بمساعدة بيتي رئيس الكتبة الرق بحضوري وحضور خورحمت الكاهن الاعظم ووضعه في مكان سري في الغرفة وبعدها ذهب الجميع وبقيت وحدي

قمت بعد أن فكرت ملياً فقدمت قرباني الى ازيس وشقيقتها نفثيس والى حماة الموتى وازوريس وثوث وجميع آلهة آمنتي الى ان حانت ساعة غروب الشمس فصعدت الى قمة البرج مرة أخرى مع الاباء القديسين

وكانت اشعة الشمس عند غروبها تخضب جميع أبنية منف الجميلة وتكسو مسلات الهياكل وابراجها بحلة قرمزية بديعة . وكانت اصوات الجلبة في المدينة وترتيل الكهنة داخل المعابد واصطدام المجاذيف بمياه النيل وصياح المارة في الشوارع ـ كانت كل هذه الاصوات وحركة الحياة حولنا تصل الى آذاننا كطنين الذباب

وقفنا هنيهة صامتين ننتظر حلول الساعة المعينة . وكان سيحور يمتد نحو الجنوب ، ومياهه تحتنا تلتوى كخيط فضى مجتازة الحقول الخصباء التي تشبه الزبرجد ، وهي الاراضى الجميلة التى اعزها واجلها والتي كنت ـ حتى في هذه الساعة ـ على وشك الخروج للقتال دفاعاً عنها

وكانت الاهرامات ترى فى ناحية الغرب وهى قائمة على قواعدها الصخرية تحيي ذكراها الذين شيدوها في حين كانت الصحراء الليبية وراءها تمتد برمالها العظيمة تحت اشعة الشمس الافقية الى ان تصل فيما وراءها الى مملكة « آمنتى » الصامتة

ما الشرق فكان قد خضب بظلال تلال البرية العربية . وكان

في وسعي ان أرى القرية التي تربيت فيها وترعرعت على مسافة بضعة أميال على النهر وأمامها المحجر الذي يشتغل فيه الاسرى والزنوج تمطع الاحجار . في حين كانت الزوارق على اختلاف انواعها ترى هنا وهناك فوق سطح مياه سيحور العظيم وهي تسير في النهر مشحونة بمختلف البضائع والسلع . وكانت اشجار البردى تمتد على شاطيء النهر ميلا بعد ميل وقد خضبتها الشمس بلون قرمزي

وأبت كل هذا المشهد المبهج الرهيب وعلمت انني أنا رعمسيس الامير المنتسب الى فرع طويل من فراعنة مصر العظام ـ سأكون سيد هذه الاراضي ووارثها

مددت ذراعي بدافع غريزي نحو الحقول الخضراء والقرى الجميلة الصغيرة والنهر وما على جوانبه من اشجار البردى وعلى سطحه من السفن ، ونحو المعابد والمسلات والابراج وأسوار المدينة البيضاء ـ لانني احببتها كلها ، كلها ، كلها ، ثم تحرك في صدري شيء أعظم من نفسي ، أعظم من مطامعي ورغباتي وميولي فصرخت أمام الجميع من أعماق قلبي قائلا :

« مصر ! مصر ! ايتها الارض الخصباء منذ الابد ! سأكون لك مدى الحياة كما أنت لي لتمدني الالهة بروح من عندها لاحكمك بالحكمة والعدل الى ان يدعوني الاله انوبيس أمام المحصى ثوث وهناك احني الهام في النهاية أمام صولجان أوزوريس ! »

قبل قرص الشمس الاحمر شفتي الافق المتقدتين من ناحية الغرب فأمسك خورحمت عندها بذراعي وقال :

ـ لقد حان الوقت لتقديم الذبيحة

فقدمت ذبيحتي في الحال الى « آتن » ـ الشمس عند غروبها
رفع رئيس الكهنة صوته على أثر انتهاء الذبيحة ورتل قائلا
« سلام عليك أى اوزوريس المولود البكر من « سب » المقدس وأعظم الالهة الستة التي ولدتها الأم « نو » !
«سلام عليك أى اوزوريس المحبوب من ابيك « رع » أب الآباء وسيد الزمان ورئيس الخرد المعبود القدير ! يامن نزلت من بطن أمك كامل النمو فوصلت جميع العروش والتيجان ووضعت على رأسك التاج المقدس !
«سلام أى اوزوريس ، الاله المتعدد الاشكال والازياء الذى لا يجوز لاحد أن يفوه باسمه ، يامن القابه لا تحصي واسماؤه مقدسة فى كل مكان !
« سلام أي اوزوريس ! يا من لا تشرق الشمس الا بارادته ولا تغرب الا أمام جلال مجدك
« سلام عليك أي اوزوريس ! »
تلاشي صدى صوت رئيس الكهنة القوى في الهواء وبعدها تحول نحوي أمام الكهنة والكنبة ثم خاطبنى قائلا
ـ رعمسيس أي ابير بيت «ست ـ ان ـ خونى» رعمسيس محبوب المعبود بتاح الخالق الصانع الذى بعقله ابتكر هذا العالم الغريب وبيديه صنعه ، رعمسيس أى وارث الاراضي العليا والسفلى يامن سيوضع على جبينه عما قليل التاج المزدوج ـ رعمسيس هل أنت مستعد لحلف اليمين التى سألقيها عليك أمام جميع الحاضرين ؟ »
فأجبته بصوت رائق جلي قائلا

ـ نعم على أتم استعداد

سكت «وتيس» الكهنة هنيهة ثم رفع ذراعيه فوق رأسه وشرع يقول

ـ اقسم لي بحق «معات» الهة الحقيقـة والعدل التى ربط ريشها فوق جبينك ، وبحق «أنخ» المقدس (الحلقة والصليب) رمز الحياة ، وبحق «الشن» (الحلقة) رمز الحماية التي فوق صدرك ، وبحق آمون ورع وبتاح الثلاثة العظام ، وبحق اوزوريس سيد الذين يقطنون في الغرب وبحق جميع الالهة ، وبحق ازيس الأم المباركة وهورس الطفل المقـدس ـ اقسم لى بحق هؤلاء جميعاً ان تخدم مصر بلادك القديمـة الابدية وان تخدمها بكل ما في وسعك وقدرتك !

«اقسم أمام جميع الحاضرين هنا الآن وأمامي انا آمون بتاح خورحمت (رئيس كهنة) بتاح وأمام ساست خرهب بتاح وأمام الاباء القديسين والكتبة والكهنة ، اقسم امام جميـع هؤلاء أن تضع مصر قبل كل شيء : قبل سعادتك ، قبل هنائك ، قبل رغبتك ، قبل حب الرجل ، قبل حب المرأة ، قبل رخائك ، قبل سلامتك ، قبل حياتك نفسها

« اقسم بحق اوزوريس وبحق جميع الالهة العظام وفراعنة مصر القدماء الذين انضموا الآن الى احضان اوزوريس وأخذوا يحكمون في آمنتي وبحق ابينا مينـا الذى جاء من ثيس فأسس مدينتنا منف ذات الاسوار البيضاء ، وبحق خوفو وكفرا ومنقرع الذين شيدوا اهرامآتهم على حافة الصحراء ، وبحق حاتشسو وتوتميس وامينحتت وملوك اسرة رعمسيس الذين تنتمي اليهم وأنت من سلالتهم بحق جميع هؤلاء وبحق جميع الموتى الذين لا تزال أرواحهم حية ـ اقسم !

سادت فترة رهيبة كنت استجمع في خلالها قوتى لاقسم اليمين

المروعة الرهيبة

أخيراً وضعت يدي فوق الرموز المقدسة وأجبت بصوت عال قائلا

ـ اني اقسم !

فصاح خورهمت قائلا

ـ هل سمعتم جميعكم ؟

فأجاب المجتمعون فوق البرج قائلين

ـ لقد سمعنا

ثم تلى ذلك همس خفيف رهيب من السكون المحيط بنا وكان مملوءاً بأرواح مقدسة غيرمنظورة يقول

ـ لقد سمعنا أيضاً

فقال رئيس الكهنة

ـ اذن بحق الذين دعوتهم أنزل عليك لعنة بتاح أي رعمسيس ، فرعون مصر المنتظر اذا نسيت قسمك هذا لسبب ما ، كما انزل عليك لعنة الموت فى الحياة والموت بعد الحياة ، لعنة بتاح على جسمك وعلى روحك وعلى نفسك وعلي تلك الشرارة المقدسة التى تحملها داخل صدرك الى ان تتجول في امنتي شريداً طريداً ملعوناً وتكون فريسة «لاميت» ملتهم الارواح ـ لقد تكلمت

سقط خورهمت علي أثر ذلك وقد خارت قواه واغمض عينيه فأسنده ساست بذراعه

أخذ الجميع يقدمون الي فروض الاحترام واحداً فواحداً ويهبطون درجات البرج الى ان وقفت وحيداً تحت اجنحة الليل المظلمة ، وحيد لا يرافقني شيء غير افكاري وقسمي الرهيب

الفصل الخامس

ذهبت تلك الليلة الى حضرة رئيس الكهنة وكان لا يزل يرتدى ثيابه الكهنوتية فلما وقع نظره علي ابتدرني قائلا

ـ عليك ايها الامير أن تقوم الليلة بآخر فرض ديني وهو أهمها كلها وأعظمها شأناً لانك الآن على وشك الدخول الى مقصورة المعبود بتاح نفسه فهل أنت مستعد ؟

فأجبته بشجاعة قائلا

ـ نعم ، على اتم استعداد

على انني كنت في الواقع أخشى المغ بة الاخيرة المستترة التي لامندوحة منها

سار خورهمت على اثر ذلك أمامي من الغرفة فاجتزنا دهاليز الكهنة الى القاعة الخارجية ومنها الى القاعة الداخلية

وكانت الستائر الكثيفة القرمزية المدلاة على باب المقصورة تعكس أشعة مصباح كبير من البرنز مدلى من السقف أمام الباب مباشرة في حين كان يحيط بالمكان كله رهبة شديدة وجلال يستملك القلوب قد زاده النور الضئيل المنبعث من المصباح الى الاعمدة الرخامية ووجوه التماثيل الجامدة المحيطة بها رهبة على رهبة

وقف خورهمت أمام الباب وصلى لسكوذو وقدم فروض الاحترام وبعدها رفع الستائر الثقيلة وامرني أن اتبعه

اسدلت الستارة وراءنا فوجدت نفسي داخل غرفة صغيرة نحتت جدرانها بمهارة فائقة ونقشت عليها قصص الآلهة اوزوريس وسوزيس .

وكانت أمامي ستارة أخرى طويلة أخف كثافة من الاولى ذات لون احمر غامق وكانت الغرفة مضاءة بمصباحين صغيرين على الجانبين فصلى رئيس الكهنة مرة أخرى الى بتاح ثم تحول نحوي وقال بصوت خافت :

ـ يجب أن تقطع الجزء الباقي من الرحلة منفرداً ايها الامير لانني لا استطيع مرافقتك . فتقدم الى الامام وقم بفروض الطاعة والاجلال نحو الخالق القدير الذي يقطن في الداخل وابق هناك كما يملي عليك قلبك . ربما يلهمك المعبود فتخرج في الحال وربما خاطبك هنيهة ، لا ادري . أما أنا فسأبقى هنا أصلي داعياً لك بالفلاح ولمصر المحبوبة بالرفاهية والسعادة

حنيت رأسي اذعاناً لامره وبعد أن وقفت هنيهة على عتبة هذا المكان المقدس لافحص قلبي ونقاوته مرة أخرى تقدمت بشجاعة الى الامام

وكان هناك ضوء ضئيل ينبعث من الغرفة المجاورة ويتخلل الستائر القرمزية الى المكان المسبق الذي وحدت الان نفسي به . وكان الهيكل أمامي مباشرة وهو مصنوع من الرخام الوردي اللون وقد نحت بمهارة فائقة من كتلة واحدة ويبلغ ارتفاعه نحو قامتين . وكان داخل هذا الهيكل تمثال بتاح المقدس نفسه فوق قاعدة من الرخام وكان منحوتاً من حجر اسود لامع يشبه في شكله العام المومياء وقد برزت يداه فقط وهما تقبضان على صولجان صنعت يده على شكل مخلب تمساح وقصبته على شكل زهرة اللوتس وطرفه على شكل رأس كلب . وكان الصولجان كله مزيناً باللآلىء الغالية يلمع لمعاناً بديعاً حتى في هذا الضوء الضئيل فأدركت في الحال انه « كاخونا » المقدس الذي لا يحمله الا الآلهة

وفرعون اذا كان في الواقع معبوداً

قلت في نفسي بصوت خافت

ـ سلاماً وتحية اي بتاح العظيم

ثم خررت في الحال ساجداً

وبينا كنت على هذه الحال منكباً على وجهي وسط هذا السكون الرهيب أخذت أفحص قلبي لانزع منه كل خبث وشر وحولت جميع افكاري الى المعبود وحده

مكثت على هذه الحال مدة طويلة بحضرة المعبود الى أن خيل الي أن هناك تغييراً داخلياً يجري في داخلي. وفي الواقع أخذ شيء لا يمكن تعيينه يتكون في صدري ويرد قوة وحياة، شيء هو نفسي تماماً ومع ذلك لم يكن أنا. وقد خيل الي اني اناضل للوصول الى راحة لا يمكن الوصول اليها وقنوع لا تصل اليه يدي واني كلما اقتربت منه جذبتني قوة ما الى الوراء ثانية وقيدت جسمي بالارض

كدت امسك هذا الشيء ست مرات، وست مرات أعود ثانية الى الشعور بهذا العالم الى أن شعرت في المرة السابعة بقلبي وهو يتمزق في داخلي وبريق قوي يؤلم عيني المغمضتين وبعدها خيمت الظلمة حولي في شكل ثوب اسود كثيف

رأيت فجأة اني واقف أنظر بحالة غريبة الى جسمي وهو ملقى بثيابه البيضاء على ارض الغرفة. وقد خيل الي اني واقف على الارض ومع ذلك لم اشعر بشيء صلب تحت قدمي والظاهر انى تحولت الى شبح من الضباب والافكار

وكان على يميني شبح آخر يشبهني تماماً بحيث كان كلما حولت رأسي

حول رأسه كذلك ونظر الي بعيني . . .

وقفت على هذه الحال صامتاً في حين أخذت الازمنة والحقب تأتى من بعيد وهي تدوى كالرعد وتمر من امامي كساعات الليل الهادئة فى حين كنت اسمع الاصوات السماوية وهي ترتل وتغنى بجلال وارى اقراصا من اللهيب ترتفع فى جو مظلم ـ الى أن شعرت فى النهاية بنور غير ارضي سطعت الغرفة الصغيرة ببهائه المظلم

ارتفع صوت غناء بعيد في الهواء لحظة ثم تلاه سكون شديد وبعد ذلك أخذ صوت حنون رقيق ليس من الاصوات الارضية يخاطبني من ذاك الجلال الملفوف داخل الهيكل قائلا ثلاثاً

ـ أى روح رعمسيس

فأجبته فى المرة الثالثة قائلا

ـ انني هنا ايها المعبود بتاح

لم اتكلم بصوت مرتفع بل كان حوارى داخل عقلي لان الافكار لدي كانت كالكلمات

أخذ الصوت يتكلم قائلا

ـ أى روح رعمسيس ! لقد خدمتني في كل شيء خدمة حسنة وعلى ذلك امنحك بركتي كا أعطيتها اليك اليوم بواسطة ابيس المقدس . لم امنح هذا الامتياز العظيم الا لقليلين وأعني به القوة على مغادرة جسمك والوقوف مع روحك « كا » هكذا امام جلالتي . تكلم الان أى روح رعمسيس بما تريد دون خوف أو وجل

فسألته بخوف شديد داخل قلبي قائلا

ـ هل حقق اذن أمنيتك ؟

وأجاب الصوت قائلا

ـ ستتم أمنيتي ولو انها ربما لا تتم كما تفهم أنت لان ما تخيل اليك انك فقدته سيربح في. كلا ولا يتوقف الامر علي و حدي بل عليك. انك حر اثناء اجتيازك الميتات القصيرة العديدة التى يسميها الناس الحياة. وأنت حر في تكييف غرضك وغرض الالهة لابدية ستجتاز طريق للحم اربعة أضعاف لان الروح لا تفنى. لقد أعطيتك هـذا الجسم الملقى تحت قدميك الذي يناضل دائماً وراء الشهوات الارضية وكذا أعطيتك روحك « كا » الواقف بجانبك والذي يناضل منذ الابد وراء الرغبات السماوية. وقد عهدت اليك « بخلو » الذي هو فيك وفي جميع البشر والذي يريك الحق من الباطل ويقيك من كل شر

« وكما ان هورس المنتقم يقاتل منـذ الابد « ست » اله الشر فكذلك يناضل الخير والشر في داخلك ولا يعلم أحد من تكون له الغلبة حتى تنتهي المعركة وتقف روحك لمحاكمة أمام عرش اوزيريس لان الذي من الالهة لا يمكن مقارنته بما هو من البشر. عند ذلك ستحاكم روحك. وعندها سيتقرر هل تدخل الى الراحة الابدية أم تعود ثانية الى الارض لتناضل من جديد

« وكما انى أنا الجوهر العظيم اظهر في اشكال متعددة كل منها في نفسها آلهة هكذا تظهر روحك فى أوقات بأشكال متعددة كلها جسد. ومع ذلك فهي وراء « النقاب » الروح نفسها الى تتخذ بدورها اجساماً عديدة. والاله نفسه الابدي الذى هو فى نفسه آلهة كثيرة

« ان فى قطعة من الكتان صفوفاً عديدة من « التقطعات » ولكن لا يوجد فى كل صف منها حسن أو رديء غير خيط واحد. وكذا

اذا وضع مصباح الحقيقة في غرفة فانه يضيء من خلال كل دفذة فيها ولكنه الضوء نفسه

« ستعطي لك أي روح رعمسيس اشارة عن اوامري ... لصلواتك لكي تعلم ما يجدر بك عمله الآن ولكي تبذل ... ذكر هذه الكلمات ـ أقصى جهدك دائماً في صيانة تلك الشرارة التي أرسلتها مني في صدرك »

وقف الصوت عن الكلام . ولكن قبل أن يتلاشى النور امتدت اليد التي تحمل الصولجان « كاخوما » المقدس الى الامام وكتبت بحروف من نار على أرض المكان

سادت الظلمة الحالكة بعد ذلك حولي مرة أخرى . . .

استيقظت فوجدت الظلمة مخيمة على المقصورة الداخلية فوقفت ببطء على قدمي لان جسمي كان متصلباً من برودة الاحجار ثم قدمت فروض الطاعة الى المعبود وخرجت الى الغرفة المجاورة وهناك وجدت المصابيح منطفأة وهناك أيضاً عثرت بجسم على الارض هو جسم رئيس الكهنة الذي استيقظ ايضاً وخاطبني قائلا

ـ هذا انت ايها الامير ؟ وا أسفاه لقد شخت فكان اليوم طويلا مملا لي ولا بد أن يكون النوم قد تغلب علي بعد منتصف الليل و... في صلاتي لانك مكثت داخل المقصورة المقدسة مدة طويلة . انظر . لقد طلع الفجر

ثم أشار بيده الى كوة مرتفعة فوق المنارة في نهاية ... الخارجية . كان ضوء الصبح الضئيل ينبعث منها

استطرد رئيس الكهنة في كلامه فقال

ـ تعال اخبرني عن حديثك مع المعبود وعن الاشارة لانى علمت الآن في احلامي انه أعطيت لك اشارة

سار الشيخ بألم ومشقة أمامي فاجتزنا رحبات الهيكل فى غرفته وكانت مضاءة بمصباح صغير وهناك أمر أحد الكهنة أن يستدعي « خرهب » الساحر الاعظم

جاء ساست بعد قليل وكانت تبدو عليه سيماء التعب لانه لم ينم اثناء الليل فأخبرتهما كليهما بقصتى ورويت لهما ما قاله المعبود وفعله

سألني خورهمت عند انتهاء قصتى قائلا

ـ اذن أين التعليات والاشارة ؟

فتملكني العجب كذلك لانى لم أكن الى تلك اللحظة شهدت شيئا

وكان ساست ماهراً فى تفسير مثل هذه الاسرار فتناول المصباح وسار أمامنا الى الهيكل ثانية حيث صلى رئيس الكهنة في الغرفة المجاورة لكي ادخل أنا وساست الى المقصورة الداخلية دون خوف

دخلنا المقصورة ولما مثلت بين يدي المعبود رأيت ساست يشير الى الارض فنظرت فاذا قد رسم على الحجر اشارة غريبة كما رسمها الصولجان كأنها مكتوبة بحروف من نار

وكانت هذه الاشارات تشبه قمراً فى الافق تحته خط ثم صقراً فوق ثلاث موجات والشمس الى الجانب ثم سيفاً مسلولا ورسم قصبات وريشة ثم رمزاً آخر لم استطع تفسيره على رغم تضلعي في حل الكتابة والاشارات المقدسة

أخذ ساست يطيل النظر الى هذه الرموز الغريبة بسكون وبعدها نقلها فى لوح كان معلقاً فى منطقته

وقع اذ ذاك أمر مدهش غريب لانه لم يكد يفرغ ساست من نقل هذه الرموز ويدع اللوح يسقط بجانبه ثانيـة حتى طمست الـكتابة شيئاً فشيئاً وتركت بلاط الغرفة نظيفاً كما كان

عدنا الى الـكاهن الاعظم فلما اطلع على الـكتابة قال

ـ حقاً انها كتابة المعبود المقدس لان الذي يأتي من الالهة مباشرة لا يمكن أن يبقى في هذا العالم متى تم الغرض منه

ذهبنا فى نور الفجر الى غرفة ساست الساحر الا كبر حيث أخذ يفحص الرموز التي كتبها على لوحه · أخيراً خاطب رئيس الـكهنة قائلا

ـ هل تسمح بقراءة الرموز أي والدي المقدس؟

فأجابه خورحمت قائلا

ـ نعم اقرأ وفسر لنا تعليمات المعبود مهما كانت .

أخذ ساست دون ان يفوه بكلمة يقرأ الاشارات السرية مسترشداً بمعلوماته الغزيرة فقال

ـ هذا تفسير ما دونه المعبود أيها الامير النبيل والاب المقدس : ان القمر والخط الذي تحته معناها الشهر الاول : والصهريج والامواج مع الشمس رموز عن موسم الحصاد : أما السيف المسلول فمعناه أن المعبود يريد أن تقع الضربة سريعاً : والقصبات الاربع هي أربعة رفقاء : والريشة رمز « اواس » وهو الجزء من مدينة نيامون الواقع في غرب النهر : والاشارة الاخيرة هي رمز الاسم المعبود المقـدس. بتاح الذي لا يعرفه أحد غيري ورئيس الـكهنة وهي دليل على أن هذه هي أوامر المعبود

وكان التعب قد تملكني بسبب الصيام وعدم النوم والعبء الذى

تحملته فسألته بملل قائلا

ـ ما معنى كل ذلك اذن ؟

فصاح ساست بصوت عال قائلا :

ـ اذن اسمع أمر المعبود الاكبر بتحتم عليك ايها الامير رعمسيس أن تقوم برحلتك سريعاً في الشهر الاول من موسم الحصاد وهو شهر « باشون » هذا الذي لم يبق منه غير ستة أيام . وعليك أن تراعى أربعة أشخاص فقط وتذهب الى بياهود الى بلاط الملك فى « أواس » لكى تتم غرض الالهة ـ هذا ما كتب

وكان الجوع قد تملكنى تماماً فحارت قواى وسقطت على الارض مغمى علي ولم يكن خورهمت أو ساست أحسن منى حالا ولو أنهما كانا اكثر منى تعوداً على الصيام لان الساعات الاخيرة كانت قاسية عليهما جميعاً

لم أع شيئاً آخر بعد ذلك الى ان استيقظت فوجدتنى على فراشى في غرفتى وأمرت أحد العبيد الذين يقومون بخدمتى باحضار الطعام فأكلت وشربت وفي الحال شعرت بقوتى تتجدد لقوة شبابي

أرسلت الخادم في طلب ساست ثم قمت لارتدى ثيابي ولما تأهبت جاءنى ساست وقال وهو يبتسم

ـ لقد نمت نوماً هادئاً ايها الامير . انظر ان هذه ساعة تقديم قربان المساء

فأجبته ضاحكا

ـ نعم ان يوماً وليلة بدون طعام ليدلا بالامر الهين لرجل تعود الاكل مثلى . وأنت ايها الصديق كيف حالك لانك لم تذهب الى فراشك الليلة السادسة ايضاً ؟

ـ قمت من النوم الآن فقط أشعر بقوة وانتعاش . ولكن ماهي أوامرك ايها الامير لان عليك بعد أن سمعت كلمة بتاح أن تأمر بخير ما يمكن عمله ؛ أما انا فقد انتهى دوري في هذا الامر

ـ كلا يا ساست . لا اظن ذلك وحق اوزوريس . الى أين أذهب بدونك أيها المرشد والمستشار والصديق؟ألم يقل المعبود أربعة رفاق ؟ اذا كان الامر كذلك فانني سأرافقك الى طيبة ، الى مدينة نياموف ، المدينة الملكية . هذا اذا سمح خورحمت بذلك لان عليه على ما اظن أن يقرر هذا الامر

أبرقت عينا ساست لتبهل مسخا هيسا وابتهاجا وحني رأسه أمامي وقال

ـ لقد فاه الامير بكلمات رقيقة جداً لصديقه لان هذا كان مكتوباً في السماء في الليلة السابقة

قضينا بقية ذاك اليوم في القيام باعمال كثيرة استعداداً للسفر ولم يعارض خورحمت ـ كما تنبأ ساست ـ في سفره معي وكذا لم يعارض في اختياري لذاك الجندي الباسل امينمحمت شقيق ساست وقال انه لا يتمنى اكثر من أن يرافقني بنفسه لو استطاع ذلك وانه بقتاله دفاعا عني يساعد على فوز قضية المعبود بتاح

سكت حورحمت هنيهة ثم استطرد في حديثه قائلا :

ـ نعم كم أود القتال دفاعاً عنك أيها الامير لانني واثق من أنه سيقع قتال . انني اعرف حرحور وجميع كهنة آمون وأعرف الامير سيتو أيضاً وهو جندي باسل على رغم انه خالي العقل والمطامع

نحو رعاياه في المستقبل . وفوق ذلك كانت الفتاة جميلة فتانة يحسن النظر اليها ، ذات شفتين ورديتين وعينين واسعتين نقيتين ، وشعر أسود طويل مسترسل

سألتها قائلا

ـ هل هناك شيء أستطيع به مساعدتك ؟

فقالت بصوت تخنقه العبرات

ـ أواه أنني شريدة وحيدة خائفة لأن عمي في ثورة غضبه لنزاع قام بيني وبينه . الآن لا أدري الى أين أذهب لأنه وأن كان منزلي في هـذه المدينة فانه خال مهجور لأن والدي ذهبا مع العبيد الى مدينة نيامون ولم يريدا أن ارافقهما فأوصيا عمي بالاهتمام بي

ـ ولكن لاريب فى أن عمك يلين اذا عدت اليه ثانية ؟

فقالت وهي تنتفض

ـ كلا . اعلم جيداً أنه لا يرق ولا يلين لأنه يمقتني كما يمقت والدي فقد صب علي اللعنات الليلة وأقسم ايمانات عديدة . ليس معي نقود فما اتعسني فأطرقت هنيهة أفكر في أمرها وأخيراً قلت

ـ اذا لم يكن هناك أحد تستطيعين الالتجاء اليه فعليك أن تذهبي الى منزلك الذي تقولين انه في المدينة فهناك على الاقل تجدين مأوي لحمايتك وسقفاً يظلل راسك

ـ واأسفاه ! ليس لى أحد التجيء اليه وليس في وسعي الذهاب الى منزلي كذلك لانه خال ، ليس به أحد يهتم بي وسأكون وحيدة فريسة للخوف . أواه ليتني اجد من يحميني ويرافقني الى هناك ويهتم بأمري !

ثارت فى قلبي عوامل الغيرة والحمية لتوسل الفتاة . وفي الواقع من

الملائم جداً ان يسعى أمير لتخفيف آلام شعبه بكل ماله يه من الوسائل.
وعلى ذلك سرنا معا نحو ذاك الجزء من المدينة حيث قالت أن منزل أبيها هناك

شعرت بثورة شديدة غريبة أخذ لظاها يتأجج في صدرى أثناء سيرى فى شوارع المدينة الضيقة والفتاة تمسك ذراعي بشدة ، ثم شعرت بثورة لم أشعر بها من قبل ولا خطرت ببالى . ولا عجب فقد هاج دمى في عروقى وأشتدت ضربات قلبى بجنون كلما شعرت بين فترة وأخرى بجسم الفتاة أثناء سيرنا وسط الزحام حتي خيل الى ان جسمي يتقد وتمنيت في قلبي أن تمتد هذه الرحلة الحلوة القاسية الى الابد

اخيراً وصلنا الي شارع مظلم في طرف المدينة حيث رأيت في الظلام منزلا قائما خلف المنازل المجاورة له قليلا، غرست حوله اشجار كثيرة . وكان الظلام شديداً فى الداخل ولم يبد فيما حوله دليل على الحياة كما قالت الفتاة

شددت الفتاة الضغط على ذراعي فلم اعارضها لانى رأيت ان في ذلك عزاءها ثم قالت وهي تلهث

ــ أواه . كم أنا خائفة . انظر الي ظلمة المكان الموحشة !

فطيبت خاطرها قائلا

ــ لا تخافى . انك معى . ليس ثمت ما يدعو الي الخوف

على ان شجاعتها كانت قد غادرتها فهزت رأسها .

مكثنا مدة طويلة واقفين بجانب تلك الابواب المظلمة تتحاجج الى ان تمكنت في النهاية من تخفيف روعها لكي تقضى ليلتها سعيدة وذلك على رغم معارضتها .

تنهدت الفتاة تنهداً خفيفاً ثم واجهتنى وامسكت بثوبي واسندت رأسها الجميل الصغير الى منكبي وقالت :

ـ ولكن اذا دخلت معى على هذا الحال وطردت عني مخاوفي فانني مع ذلك سأكون وحيدة خائفة عند ـ عند ذهابك

فوضعت يدى في يدها مدفوعا بقربها مني والرائحة الزكية التي كانت تتصاعد من قوامها الرقيق ثم قلت متلعثما

ـ كلا يجب أن تكونى شجاعة لأنى لا استطيع أن ابقى معك الى الابد

فنظرت الى وجهاً لوجه مرة اخرى ثم تنهدت ورفعت ذراعيها البيضاوين بلطف الى ان طوقت بهما عنقي وقالت

ـ واأسفاه لاتستطيع أن تبقى معى الى الابد ـ ولكن ـ يجب أن لا اخاف ـ في النهار .

اضطرب عقلي اذ ذاك وسكرت من خمر عواطفي فلم اع ما فعلت اللهم الا ان ثورة حبي أخذت تضرب علي أوتار قلبي بشدة كانت تتزايد شيئاً فشيئا . وكانت ذراعاها الجميلتان اللتان تحاكيان المحبين تطوقان عنقي فلم اقاومها بل بالحرى طوقت خصرها النحيل بذراعي كذلك وكانت عيناها تلمعان ببريق فتان وهى تنظر الى بهما في غسق الليل الي ان قالت بصوت خافت

ـ انها ليلة جديرة بالحب

جذبت الفتاة رأسى نحوها بلطف الى أن مست شفتاها شفتي هنيبة ثم بقيت على هذه الحال بين ذراعي الى ان سمعت صوت ساست الجاف فصحوت من حلمى اللذيذ وقفزت هى بعيداً عني بضع خطوات في حين

ظهرت اشباح رفقائى الاربعة وكانوا يجرون على مايظهر

قال ساست بصوت لايخلو من الغضب والجفاء

ـ لقد وجدتك فى النهاية أيها الصديق : هل أنت بخير ؟

فأجبته بغضب لتدخله قائلا

ـ نعم ولكنى لست في حاجة اليك الآن

ـ نعم ولكننا فى حاجة اليك لغرض لا تجهله ـ ولانك في خطر . لقد رأيت في المنام منذ هنيهة روحي « كا » فقادتني الى هنا وقد خشيت أن يكون قد سبق السيف العزل

فثار غضبي وصحت به قائلا

ـ ألا سحقاً لك ولروحك . لا اريد احداً الآن

لم يفه ساست بكلمة ولكنه اقترب منا ثم أشار الى الفتاة وهي جامدة في مكانها ثم سألنى قائلا

ـ من هذه الفتاة ؟

فأجبته بشىء من الغلظة قائلا

ـ هذه عذراء مسكينة كنت اعزيها

فضحك امينمحعت وسمعته يقول بصوت خافت في نفسه

ـ انك وحق « منتو » رجل قبل كل شىء

فلم اعر قوله اهتماما فى حين استطرد ساست في كلامه بلهجة تنطوى على الجد قائلا

ـ تعال معى أيها الصديق

فأجبته ببرود قائلا

ـ كلا

ـ انى أريد سلامتك أيها الصديق النبيل قبل كل شيء . ألا تريد ان تأتى معنا ؟

فقلت بغضب مرة أخرى

ـ كلا . كما قلت لك

رفع ساست اذ ذاك ذراعيه نحو السماء المظلمة هنيهة كأنما يصلى صلاة سرية ثم احدق النظر الى وطوح يديه يمنة ويسرة أمام وجهه ببطء

أخذت اشعر بعد مدة طويلة بقلق فكرى بحالة غريبة ثم شعرت بقواي تغادرنى تدريجيا الى ان خطوت فى النهاية خطوة نحو ساست بعيداً عن الفتاة التي عندما لاحظت عملى هذا رفعت في الحال يدها الي صدرها

سل ساست اذ ذاك سيفه من غمده في الحال وحمل على الفتاة فجندلها بسيفه وقد جرى ذلك كله قبل أن يدرك احد ما كان يجول بخاطره

فقدت صوابى عندها وصرخت في وجهه قائلا

ـ تباً لك أيها النذل الجبان قاتل النساء !

وقد كدت أحمل عليه بصوالجتى ولكني رأيت جموده فوقفت هنيهة وفى تلك اللحظة خاطبنى قائلا

ـ لا تضرب أيها الأمير بل اسمع مايقوله خادمك واصفح عنه لانه لا يحب أحد سواك انت وبلاده المحبوبة مصر . ان هذه الفتاة التى لاريب في أنها قصت عليك قصتها ، وهذا الشارع المهجور ـ دسيسة لايقاعك والمجيء بك الى هذا المنزل الذى لا اكون مخطئا اذا قلت انه مملوء بكهنة آمون . واأسفاه . لقد تربيت داخل الهيكل بعيدا عن النساء حتي صرت الآن تفاحة ناضجة تستطيع يد فتاة عذراء جنيها . انظر الى تلك الشيطانة الحسناء !

مال ساست فوق الفتاة ونزع ثوبها عن صدرها فسمع صوت خنجر يسقط على الارض فتمتم قائلا :

ـ هذا ما زعمته . انظر . ألا ترى أنك لو كنت طاوعت هذه الفتاة ودخلت معها المنزل لضممت الموت الى صدرك لاقوامها الفتان ولقبلت فولاذاً بارداً لا وجناتها المتوردة ؟ ولعمرى لما رأت الآن انك اخذت تخضع لسحرى أرادت أن تحمل عليك بخنجرها حتي في هذه الاونة ولو انهم في الواقع كانوا يفضلون أسرك أولا لكي يقفوا منك على اسماء الذين لهم يد في هذه المخاطرة . اسألك المعذرة والصفح أيها الأمير لأني ما فعلت الا ما رأيته واجباً علي

لزمت السكون هنيهة ، اكاد لا أدرى ماذا أقول وهل أصدق قول ساست أو لا أصدقه . وكان امينمحمت قد تقدم في خلال ذلك فالتقط الخنجر وأخذ يفحصه بدهشة ثم قال

ـ انه خنجر مسموم . لا أميل الى قتل النساء ولكن الافاعي السامة يجب سحقها قبل أن تبطش بفريستها .

وبينما كنت واقفا تتجاذبني عوامل الغضب والشك والجحود اذ فتح باب المنزل المجاور الذى قالت الفتاة انه خال وخرج منه شخص يحمل فى يده سيفاً مسلولا

صاح ساست عندئذ قائلا

ـ انظر ألا تزال في شك من قولى الى الآن ؟ ان كهنة آمون هم الذين سيداهموننا

وصاح ميناس قائلا

ـ فراراً أيها الأمير ، فراراً

ثم سل هو ومأتى سيفيهما وقفزا أمامي لكى يدافعا عني

لم يفه امينمحهت وحده بكلمة وحمل على الرجل بالخنجر الذى كان يحمله في يده على انه اخطأ المرمي ولم يصب الرجل الا بجرح في ذراعه ولذا لم يكترث هذا وسار في طريقه الينا

ظهر رجلان آخران واتفق أن ظهر القمر اذذاك من خلال السحاب فأضاء على رؤوسهم المحلوقة فلم يتساورنى أقل ريب في أنهم من كهنة آمون وان ساست قد نطق بالصواب

لم يكن هناك وقت لتبادل الحديث . وكانوا قد حملوا علينا فلم نر بدأً من القرار لأنهم كانوا اكثرمنا عدداً ولم تكن مهمتنا الى نياءون قد تمت بعد . وبينا كنا نجرى يتعقبنا اعداؤنا بهمة عظيمة اذ صاح زعيمهم ـ وهو الذى جرحه اميمحمت بخنجر الفتاة ـ صيحة شديدة وسقط فجأة على الارض فأنتف رفاقه حوله هنيهة وقد أخذ منهم العجب مأخذه لانهم لم يروا أحداً منا يضربه

قال اميمحمت

ـ لقد اصبت في قولى أيها الامير . ان الخنجر مسموم

وبينا كنا نجري في الشارع الظلم خاطبت ساست قائلا

ـ الى المنزل الذي استأجرناه فهو متين البناء وبي وسعنا نحن الخمسة أن نحسن الدفاع عنه

فأجابني قائلا

ـ كلا . انهم يحدقون به ويقبضون عليك بأى عذر لأنهم أصحاب السلطة في المدينة في حين لاتكون في مأمن أيها الامير قبل أن تعلن نفسك لفرعون وتنال حمايته . يجب علينا أن لا نعرض حياتك أيها

الامير الى الخطر بالقتال اذا كان في وسعنا النجاة بالهرب . فالى السفينة فان هناك ريحاً ملائمة

وهكذا هربنا مجتازين الشوارع على نور القمر ، شاهرين سيوفنا قاصدين النهر يطاردنا كهنة آمون

أخيراً سبقنا الكهنة بمسافة قصيرة ووصلنا الى ممر ضيق بين أسوار مرتفعة صخرية تؤدي الى المرفأ الذي كان به زورقنا

قال عاني لجأة وهو يلهث

ـ هل لكم أن تذهبوا أنتم الاربعة لكي تأمروا العبيد برفع الاشرعة وسأقف في وجه الاعداء هنا في هذا الممر الى أن تتأهبوا للرحيل ثم أنضم اليكم ؟

أردت اذ ذاك ان اعترض عليه ولكن ميناس وساست استحثاني على السير قبل ضياع الوقت . على اننا لما وصلنا الى الزورق لم نجد به غير عبد واحد لان الباقين كانوا قد ذهبوا الى المدينة ولذا قمنا نحن بحل الاشرعة بسرعة في حين كان صلصال السيوف يسمع من الممر

دفعنا السفينة في الحال بعيداً عن النهر ثم ناديت عنى لكي يلتحق بنا ولكنه لم يظهر ولم تخف وطأة القتال فناديته ثانية لان السفينة كانت تبتعد بنا عن الشاطيء بسرعة واخيراً جاءنا الجواب بصوت ضعيف خافت قائلا

ـ انج بنفسك أيها الامير أما أنا فسأذهب الى احضان اوزوريس

لم تمض لحظة أخرى حتى سمعنا صيحة وسط الظلام ورأينا كهنة آمون بسيوفهم المخضبة بالدماء على جانب المرفأ ـ ولكن بعد فوات الوقت

وبينما كنا نراقب الكهنة بملابسهم البيضاء وهم يصيحون على

الشاطيء همس ساست في أذنى قائلا :

ـ لقد مات أحد رعاياك الابطال أيها الامير

وكان امينمحمت قدترك ميناس والعبد عند شراع السفينة فقاطع حديثنا قائلا

ـ هل تظن أنهم يستطيعون اللحاق بنا ؟ هل أحركهم بسهم من قوسي؟

ثم تناول قوسه المشهور من كتفه فأجبته قائلا

ـ كلا ان جميع السفن راسية كما كان زورقنا واذا شاؤا اللحاق بنا قضوا مدة طويلة ندعهم لاننا نلنا الغلبة عليهم

وقال ساست :

ـ لا أظن انهم يقتفون أثرنا بعد الآن لأنهم كهنة المدينة . ولا ريب في أن الاوامر التى تلقوها هي أسرك أو قتلك في هذه المدينة لا اقتفاء أثرك بضحة الى أبواب قصر فرعون . أن حرحور داهيـة لاتفوته صغيرة كما ستجد ذلك حالا .

فتنهد امينمحمت أسفاً لأنه مولع بالقتال وقال :

ـ اذن نحن فى مأمن الآن

ثم ساد السكوت هنيهة كنت أنظر في خلالها الى مياه النيل وراءنا والسفينة تجتاز بنا المنازل الى العراء

اخيراً قلت مخاطباً ساست

ـ لقد ارتكبت الليلة خطأً عظيما أيها الصديق الحميم اذا كان يجوز لى ان اقول ذلك ـ فأسألك الصفح والمعذرة لما بدر مني من الكلمات القاسية . لقد أنقذتني من الموت قبل أن تصل الى نيامون

ـ كلا . لاتتكلم بمثل هذا الكلام أيها الامير رعمسيس فان الآلهة

الابدية قدرت كل هذا من قبل . وفوق ذلك فأنت شاب يجرى دمك في عروقك حاراً . ولولا روحي «كا» الذي خاطبني لما عثرت عليك

ثم تبسم وتحول هو وشقيقه وذهبا الى عنبر السفينة للقيام بالوسائل اللازمة لرحلتنا الفجائية التي اكرها عليها

أما أنا فوقفت احدق النظر الى المياه . وقد خطرت ببالي أمور عديدة فذكرت أولا انذار خورهمت الكاهن الاعظم لي وتحذيره اياي من الامر عينه الذي كدت أذهب فريسته بدافع جهالتي وجنون الشباب

جلست وقد ثار غضبي على نفسي ثم أقسمت ان انظر بعين الارتياب والاشمئزاز الى كل امرأة تخاطبني بكلمات رقيقة بعد الآن ثم لم ألبث أن تملكني الحزن عند ما رأيت كيف يمكن اخفاء الشر والغش في هيكل جميل مثل تلك الغادة الفتانة .

ذكرت بعد ذلك صداقة ساست واخلاصه وحرصه على الغرض الذي وضعه نصب عينيه بحيث لم يحجم عن أن يجندل الفتاة مدفوعاً باخلاصه لقضيته ومعبوده . على اني ذكرت قبل كل شيء . والحزن يمزق قلبي ـ ذاك الجندى الباسل حاتى الذى ضحى حياته باخلاص لكي أنجو من نتيجة جهالتي فصليت الى بتاح وتوت أن يخففا حسابه أمام المعبود اوزوريس

الفصل السابع

سارت السفينة بنا طول الليل فقطعنا مرحلة كبيرة في النهر . وقد مكثت الرياح تهب معتدلة الشطر الاكبر من الليل ولكنها كادت تقضي علينا فى النهاية لانها اشتدت قبيل الفجر وحملت معها رياحاً متربة من الصحراء الغربية حجبت الجو عن أعيننا وجعلت مهمتنا شاقة متعبة

على ان المعبود بتاح كان يسهر على سلامتنا فخفت الزوبعة عند الفجر ولم تكد ترسل الشمس اشعتها الاولى حتى رأينا على نورها معابد مدينة نيامون ومسلاتها وقصورها الشامخة من بعيد

وكانت الحركة شديدة في المدينة عندما رست بنا السفينة في النهاية في أحد المرافىء الكبرى . فقد رأينا العبيد يشتغلون بتفريغ السفن التجارية وحمل البضائع المختلفة من الجلود والعاج والسجاجيد والطنافس وانواع التوابل والاواني الثمينة وغيرها ، والكتبه وهم يساومون التجار فى أسعار البضائع التي ابتاعوها

رأينا الى جانبنا سفينة تفرغ شحنة من الجواري جيء بهن من بلاد الحبشة . وقد أخبرني شيخ انهن يحسن الرقص وانهن سيرقصن في قصر الملك

كتب ساست على رق خطاباً الى رئيس الكهنة في منف أخبره فيه اننا وصلنا الى نيامون سالمين ثم أرسل هذا الخطاب مع العبد الذي بقى في السفينة وقد أمره أن يعود فى النهار ليأخذ رفاقه الذين تركهم في الليلة الماضية واعطاه نقوداً

سرنا بعد ذلك في المدينة مشياً على الاقدام باحثين عن مأوى نتناول فيه الطعام ونزيل عن أجسامنا غبار السفر ونرتدي ثيابنا قبل أن نقوم بأهم جزء في رحلتنا وأعني به الدخول على والدي فرعون ملك مصر كلها

كان هورس المقدس (الشمس) لا يزال صغيراً فى الافق عند ما اجتزنا في النهاية الباب الخارجى للقصر ووقفنا فى فنائه الاكبر. وكانت أشعة الشمس الافقية تسقط على سلالم القصر المصنوعة من الرخام والسقف النحاسى والاعمدة المذهبة فكانت ترسل لمعاناً بحيث خيل الينا ان القصر يتقد بنيران مقدسة. وكانت الوان الاعمدة والنقوش القرمزية تنعكس على الارض المغشاة بالمرمر تحتها في حين اجتزنا باباً آخر وصعدنا بضع درجات ثم وقفنا في ظل أعمدة كبيرة على شكل ازهار بديعة وهنا اعترضنا الحراس فى الحال ومدوا اسنة رماحهم لكى يسدوا طريقنا فثار دم الشباب في عروقي عندها وكدت أعلن لهم نفسى وأخبرهم من أنا ثم أطلب المثول بين يدي أبى فرعون ولكنى رأيت أن كهنة آمون يبثون العيون والارصاد بكثرة حول القصر فاذا علموا من نحن حاولوا بلا مراء دون دخولنا على فرعون وسخروا منا اولا ثم دسوا لنا السم أو القوا بنا في غياهب سجن سري بتهمة ما يلصقونها بنا

والظاهر أن ساست أدرك من حركاتي ما يجول بخاطري فرفع يده ومنعني من الكلام ثم تقدم الى الحراس وأخبرهم انه ساحر عظيم وانه جاء هو ومساعدوه الثلاثة بسر السعادة الحقيقية لفرعون

ضحك الحراس لقوله هذا وأخبرنا أحدهم أن كثيراً من السحرة والقتلة يأتون طول النهار يريدون الدخول على فرعون بمثل هذه القصص على أن ساست استخدم اذ ذاك مقدرته السحرية وتسلط على الحرس

بحيث أكرهه في النهاية على أن يحسن التفكير في الامر ويرسل في طلب صابطه . ومن حسن الحظ ان سلف هذا الضابط حكم عليه بالاعدام لأنه طرد ساحراً ماهراً من مدينة « آن » كان فرعون أمر باحضاره . ولذا خاف أن يصيبه ما أصاب الضابط السابق فسمح لنا بالدخول وسار أمامنا فاجتزنا الفناء الداخلي الى القصر نفسه الى أن أدخلنا على وزير القصر لسؤالنا .

وكان الوزير شيخاً ثاقب النظر طويل اللحية يرتدى ثياباً فاخرة فلما وقع نظره على ساست انتفض فجأة ثم صرف الضابط والرجال الملتفين حولنا من الغرفة فلما خرجوا حر على ركبتيه دون كلمة وقدم الي فروض الطاعة اذ تبين انه من المخلصين للاسرة الملوكية . وكان قد تلقى انذاراً سريا من الموالين لنا فى الاراضي السفلى لكي ينتظر قدومي مع رئيس سحرة بتاح وكان يعرفه من قبل

تحول ساست نحوى وهو يبتسم ثم قال

ـ أنظر أيها الامير . من المأمون دائماً الدخول من الباب الجانبي الذى يفتح سراً أكثر من الدخول من الباب الامامي حيث لايعرفنا حراسه . ستجد الآن ان القصر الملكي يختلف بعض الاختلاف عن هيكل بتاح

استقر الرأي بيننا بعد ذلك على ان يقدمنى الوزير وقت الظهر سراً الى فرعون ، والدي الشيخ الذي لايعرف الى هذه المحلة شيئاً عن وجودى في الحياة وأن يقدمني بصفتي رجلا حتمت لخاصة خصوصية اذ رأينا من الصواب ونحن وسط أعداء كثيرين أن نضع مركزى فى أقرب وقت على أساس ثابت متين قبل أن يفشى سرنا و يصيبني أذى .

لما حان وقت الظهر ارتديت ثياباً فاخرة وأخذت معي ملف الاوراق التي اعطاني اياها خورمحت رئيس الكهنة ثم سرت مع أصدقائي في ممرات ودهاليز عديدة الى أن وصلنا الى باب مخفور وهنا نادني الوزير — وكان اسمه نيفر — فاجتزنا الباب بعد أن غادرنا الآخرين عند مدخله

اجتزت العتبة وفي نفسي شيء من الاضطراب فوجدت نفسي في غرفة صغيرة ولكنها كانت مزينة بأفخر زينة . وكان يستخدمها فرعون على مايظهر لمقابلاته السرية اذ رأيت في أحد جوانبها عرشاً كبيراً منحوتاً من المرمر قائماً فوق سبع درجات

على هذا العرش جلس فرعون رعمسيس الثاني عشر بثيابه الملوكية المطرزة بالذهب وهو والدي الذي لم أعرفه من قبل . ولم تكد تقع عليه عيناي حتى جذبتني نحوه عوامل الحب والشفقة . وفي الواقع كانت تبدو عليه سيماء الضعف وهو جالس بثيابه الملوكية الفاخرة ، يحمل في يده صولجان الملك وغيره من رموز السلطان والقوة . وعلى رأسه تاج مصر المزدوج . وكان وجهه كثير التجعد لتقدم سنه ولكثرة متاعب الملك لانه شهد في أيام حكمه النيل وقد فاضت جوانبه سبعاً وعشرين مرة في حين كان هو يناهز الرابعة والثمانين من عمره . وكانت يداه ترتعدان قليلا ، وعيناه تبحثان على مايظهر هنا وهناك — على رغم ما كان يتجسم فيهما من امارات القوة والسلطان كأنهما تبحثان عن صديق ورفيق لا تجدانه

وفي الواقع طبعت علامات الوحدة والتعب والضعف على أسارير وجه فرعون أبي فتاقت نفسي الى الذهاب اليه للوقوف الى جانبه لكي

اقدم اليه قوتي وشبابي يعتمد عليهما وقت الحاجة

كان فرعون في الغرفة وحده اذا استثنينا بعض العبيد وحملة المراوح الواقفين وراء العرش ولكن هؤلاء ليس لهم أهمية لأن جماعة العبيد الذين يتولون خدمة الملك يعلمون حق العلم ان أعينهم لا ترى وآذانهم لا تسمع

وقفت على هذه الحال جامداً انظر فيما حولي الى أن تادني الوزير نيفر من يدي الى الامام ببطء ثم صاح قائلا

ـ تحية وسلاماً أي فرعون ، العقاب الاعظم ، محبوب هورس معطي الحياة كالشمس

، ثم حني رأسه في حين قدمت أيضاً تحياتي وفروض الطاعة اليه لانه وان كان أبي فانه كان فرعون مصر ـ وفرعون مصر معبود

وقف الوزير نيفر جانباً فتقدمت الي قاعدة العرش فأخذ فرعون عندها يفحصني باهتمام بضع دقائق لاحظت في خلالها انه ينظر الي بعين الحب والحنان . غير انني كنت أبحث في فكري في خلال ذلك عن طريقة أبلغه بها ما أريد ان أقصه عليه لانني خشيت في الوقت نفسه ماقد يصيبه بسبب شيخوخته اذا أنا أطلعته على حقيقة أمري مباشرة

أخيراً تكلم فرعون بصوت خافت قائلا

ـ ماذا تريد أيها الشاب ؟

فأجبته قائلا

ـ أي فرعون يامن لاتنتهي له حياة ، سيد الاراضي العليا والسفلى وحاكم الشمال والجنوب ! لم آت لطلب بل بهدية ولكني أريد أولا أن أقص عليك قصة اذا سمح المعبود الجالس أمامي تحف به لمهابة والجلال

فأشار الي لأتكلم فاستطردت في حديثي قائلا

ـ يحكي أى فرعون انه كان فى احدى البلاد ملك ذو سلطان عظيم وقوة فرزق ولداً بكراً كان يحبه حباً عظيما وأراد أن يجعله ملكا بعده ولكن شاء المعبود الاعظم « رع » الذي يخلق ويميت أن يرسل الطفل أمام اوزوريس سيد الموتى الدين فى آمنتي قبل أن يبلغ الطفل سن الشباب فحزن الملك لذلك حزناً عظيما ولكن شاءت المقادير بعد سنين عديدة فحملت الملكة وولدت ابناً آخر أحبه الملك حباجاً أولا بسبب موت ولده الاول وثانياً لشيخوخته التي انذرته انه لايستطيع أن يلد أولاداً آخرين كما كان فى أيام شبابه

« على انه اتفق ان كان حول هذا الملك وزراء أشرار قاموا ـ لغاية فى نفوسهم بضجة عظيمة قائلين ان الآلهة تنبأت بأن الطفل ولد لجلب الشر على رأس أبيه ثم جاؤا الي الملك في وقت معين وأغروه حتي أمر بقتل الطفل ؟

أمسكت اذ ذاك عن الكلام لكي أراقب تأثير كلماتي في نفسه فلاحظت لا بتهاجي ان الملك بدلا من أن يمل حديثي كان يصغى الي باهتمام شديد وهو يلوي صولجانه المرصع باللآلىء بين أصابع يده المضطربة .

استطردت فى حديثي بشجاعة قائلا

ـ حدث بعد ذلك أي فرعون ان الملك تذكر والاسى ملء فؤاده ان ليس له ولد غير ولد واحد لم تلده الملكة ولذا لايستطيع أن يدعوه ابنا حقيقياً له . وكان الحزن يتملك قلبه في بعض الاحيان لهذه الذكرى ولكنه ـ وهنا سكت هنيهة بدهاء ثم قلت ـ ولكنه كان يفرح كذلك

فى بعض الاحيان اذ أليس بقتله الطفل قد نجا نفسه من الشر والويلات التي كانت تقع على رأسه ؟

فقال فرعون بلهجة سريعة وقد رأيت أن سهمي أصاب المرمى.

ـ كلا . كلا . ان هذه قصة غريبة بلا مراء ولكني أظن أيها الراوى ان الملك لابد أن يكون قضى حياته فى الحزن

فحنيت رأسي وقلت

ـ ليكن ماتقول أيها الملك

ثم عدت الى قصتي فقلت

ـ ثم حدث بعد ذلك ان جاء رسول الى الملك ذات يوم وقال له : أيها الملك . لدي نبأ عن ولدك الذى تزعم انك قتلته وهو طفل . ان الملكة زوجتك استسلمت لعواطفها الوالدية فعصت أمرك وأخفت الطفل وعلى ذلك فولدك لايزال على قيد الحياة وهو الآن شاب في مقتبل العمر . والآن أي فرعون ، هلا يغضب الملك لهذا النبأ ويلقى رسول الشر الى الجب ويرسل من يقتل هذا الابن بصفة أكيدة لأن يد القدر شاءت ان يجر على رأس أبيه الويلات والمتاعب ؟

ابيضت أصابع فرعون النحيلة وهو يشدد الضغط بها على ذراعي العرش ثم أجابني قائلا

ـ كلا . لا أظن أيها الشاب ان الملك لايعد هـذا النبأ شراً بالمرة وأرى ان عليه ان يرسل في الحال في طلب ابنه ويرده اليه لـكي يشغل المكان المعد له بين الأشراف والنبلاء ثم يقدم فروض الشكر الى الالهة على ما اولته من رحمة وشفقة . وفوق ذاك أرى ان على الملك ان يعد الرسول بمكافأة عظيمة

ـ ثم نظر الى نظرة غريبة ـ اذا جاء ببرهان يثبت صحة روايته

رأيت الآن أن فرعون أدرك معنى قولي وعلى ذلك أخرجت الرق من بين طيات ثيابي ووضعته في يده قائلا

ـ هاهو البرهان أيها الملك الحاكم والحارس على أرض مصر

فتح فرعون الرق بيد مضطربة . ولما قرأ ما كتبته مشكة ـ وقد استغرق في ذلك مدة طويلة لشيخوخته وشدة لهفته ـ صرخ صرخة عظيمة وسقط صولجانه فجأة الى الارض فخرج من مقبضه حجر من الياقوت وتدحرج فوق درجات العرش الى أن وقف تحت قدمي

صاح فرعون قائلا

ـ اين هو ؟ اين ولدى الذى فقدته . سيكون نصيبك شيء كثير من الذهب والفضة اذا جئتنى به

تقدم الوزير نيفر اذ ذاك وعيناه الحادتان تمعن ثم حنى رأسه وقال

ـ انه يقف الآن أمامك يا فرعون

ثم أخذ يدى وعاد الى الكلام فقال

ـ هذا هو ولدك رعمسيس الامير الوارث لعرشك وولى عهدك الذى قضى السنين السبع الاخيرة في هيكل بتاح بمنف يتعلم جميع العلوم والفنون والاسرار التي تليق بالامراء

أحدق أبى النظر الى مدة طويلة وهو لا يستطيع الكلام وأخيراً قام عن عرشه وهرع الى على رغم شيخوخته وطوقني بذراعيه وضمني الى صدره على مرأى من الوزير والعبيد ودموع الفرح تنحدر على خديه المجعدين

تحمل نيفر في تلك اللحظة التبعة فأمر جميع الخدم والعبيد بمغادرة الغرفة على رغم وجود فرعون نفسه ثم خرج هو ايضاً وغادرنى مع أبى وحدنا مع فرح اتحادنا ثانية

جلست بعد ذلك على درجات العرش تحت قدمى أبى فرعون وبعد أن شرحت له ما جرى لى وتحدثنا كثيراً تذكرت رفاقي وذهبت الى الباب وعند ذلك عاد نيفر والعبيد الذين لم يلاحظ فرعون غيابهم على ما أعتقد ـ ثم عدت مع ساست وامينمحعت ومياس فقبلوا صولجان فرعون ثم قصوا عليه ما تكبدناه من الاخطار في الليلة السابقة وموت طاتى الشجاع فثار عندها غضب فرعون وقال

ـ لعمري لو كان اولئك الكهنة مسوك بأذى يا ولدي لقتلتهم على بكرة ابيهم ولسمتهم سوء العذاب ولا أستثنى حرحور نفسه ولو أن آمون يصب على رأسي ناراً جزاء فعلتي فاني وأيم الحق أمقت هؤلاء الكهنة وأخشى شرهم لانهم يأتون الي دائماً بنبوآتهم وأحلامهم التي أشبه شيء بأوامر يلقونها علي. أما الامير سيتو الذي يدعونى أباه وكان عليه أن يساعدنى في شيخوختى فانه لا يمدنى بشيء من المساعدة لانه يعاون خاله حرحور في كل شيء . وفي الواقع تنازل له عن حقه في تولى الحكم بعدي بدلا من أن يناضل عنه وليس لدى أسفاه القوة لتنفيذ أوامري! . ألا تعلم يا ولدي ان حرحور يجري فى عروقه دم الملوك ايضاً وانه بعد وعد سيتو له أخذ يلقب نفسه بالامير الوارث للعرش» ؟ ومع انى شيخ طاعن فى السن فانه ليس هناك من يناصرنى ويشد ازرى غير نيفر وبعض الثقاة من المستشارين العبيد والحرس الملوكي فأجبته قائلا

ـ لا أجهل شيئاً من ذلك أي فرعون أبي وهـذا هو السبب في مجيئي الى هنا مع أصدقائي فان ساست رئيس سحرة بتاح سيكون ند لأي كاهن من كهنة آمون بسحره وامينمحمت بسيفه وقوسه اللذين يعرف كيف يستخدمهما . أما أنا فسأكون اليد اليمنى والقوة التي سترتكز عليها سلطتك . ولعمري سيعلم حرحور رئيس كهنة آمون ان هناك دما أشرف من دمه ؛ دما سيدافع عن حقوقه مهما كان يثق ذاك الكاهن بقوته

فصاح ابي بفخار قائلا

ـ أحسنت القول يا ولدي . أحسنت القول . لقد شددت أزري وجددت قوة جسمي الضعيف على أنني أشعر الآن بضعف لما أصابني وعليه سأتناول الطعام معك ثم استريح . لا يفه أحد بكلمة مما جرى لانني أريد مخاطبتك فيما بعد

ثم تحول فرعون نحو الوزير ـ وكان قد التقط حجر الياقوت الذي سقط من الصولجان ـ ثم قال

ـ حذراً يا نيفر أن تذاع كلمة واحدة عما جري في هـذه الغرفة وكل من يخالف أمري هذا جزاؤه الموت

وقع نظره على حجر الياقوت فصاح قائلا

ـ ماذا ، ما هذا ؟

فقال الوزير

ـ هذا حجر من الياقوت سقط من صولجانك عندما عانقت ولدك

فقال فرعون

ـ هذا فأل حسن . مر بوضع هذا الحجر في خاتم يلبسه الأمير

رمسيس عند غروب الشمس غداً تذكاراً لهذا اليوم السعيد

فقال نيفر اعترافاً بالاوامر التي تلقاها

ـ فرعون حياتنا

ثم غادرنا الغرفة فى الحال

الفصل الثامن

سرت خلف فرعون مع رفقائي ظهر ذاك اليوم الى قاعة المحاكمة الكبرى في القصر . وكان بتلك القاعة عرش الملك الرسمي وهو مصنوع من العاج المرصع بالذهب والاحجار الكريمة ، يخفر درجاته أسدان رابضان من الابنوس لهما أعين من الياقوت. وكان فوق العرش مظلة قرمزية اللون موشاة بخيوط ذهبية طرزت عليها رموز كثيرة

وكان في وسع فرعون وهو جالس فوق العرش ان يرى جميع الرجال الجالسين في القاعة بين الاعمدة والتماثيل الصامتة ثم الفناء الواقع خارج القاعة بجدرانه المدهونة وأرضه الرخامية الملساء

وكان الوزير نيفر أعلن بين رجال القصر اننا جماعة من الرسل جئنا من هيكل بتاح لاعلان رؤيا رأيناها ولذا وضعنا بين زمرة من اصحاب الملك فلما دخلنا القاعة مع رجال البلاط على مسافة وجيزة من العرش امام العبيد أخذ كثيرون ينظرون الينا نظرة دهشة واستغراب

ولا عجب فان العبيد الذين لم يشهدوا ما جرى بيني وبين والدى فرعون كانوا يريدون معرفة ما جرى ولذا سرعان ما ذاعت في القصر عنا اشاعات غريبة مختلفة

لما فرغ القوم من تقديم فروض الطاعة والتحية الى فرعون وقف الجميع على اقدامهم . وكنت قد تعودت رؤية مظاهر الابهة والفخار فأخذت اجول بنظري أثناء تلاوة العرائض المقدمة الى الملك وأقلب الطرف فيمن حولي من الاشخاص الذين كانوا منتشرين حول العرش ايضاً يرتدون ثياباً فاخرة

ساعدني ساست على معرفة كثير من رجال البلاط لانه كان يعرفهم من لباسهم وشاراتهم كما كان يعرف من منهم المخلص للملك ومن هم أنصار سيتو وحرحور

كان اول شخص وقعت عليه عيناي رجلا متوسط العمر كان يطيل الينا النظر منذ دخولنا ويفحصنا باهتمام بعينيه الثاقبتين . وكان قصير القامة ضخم الجسم حليق الرأس ، يلعق شفتيه دائماً بلسان كلسان الافعي . وفوق ذلك كان في خلال مراقبته ايانا يكتب كثيراً في لوحة كأنما يدون ملاحظاته عن حركاتنا وسكناتنا . وقد خيل الي انني رأيته من قبل مرة ولو انني لم اذكر أن رأيته الي أن همس ساست قائلا انه اوسر (رئيس سحرة) آمون الذي وانه زار منف منذ ست سنوات لمهمة دينية

استطرد ساست في حديثه بصوت خافت قائلا :

ـ انظر . انه يعرف من نحن والظاهر انه أدرك انك الامير . لا أدري كيف ذاع السر ولكني اظن ان كهنة آمون يعرفون كل شيء يتعلق بالامر قبل أن نغادر منف .وهو رجل ذو قوة عظيمة في السحر قضى مدة طويلة رئيساً للسحرة ـ أي منذ قتل بسحره قائد حملة الرماح الملكية فسمع فرعون جدك به وعينه « خرهب » آمون

أشار ساست بعد هنيهة الى رجل طويل القامة عريض المنكبين متوسط العمر احمر اللون مقوس الانف ثم عاد الى الكلام فقال

ـ هذا بسار حاكم نبامون وهو من سلالة ملوك الهكسوس (ملوك الرعاة) ومع ان أباه وجده من قبل شغلا مركزه هذا فانه يحاول دائماً أن ينضم الى الفريق الاقوى وعلى ذلك فهو الآن من انصار كهنة آمون.

« اما حرحور نفسه فلا أراه هنا ولكنه سيأتى بلاريب فيما بعد ومن المحتمل انه الآن يدبر دسيسة سرية للقضاء علينا ..

« أما ذاك الشاب الطويل الذي يرتدي ثياباً ملوكية ويلبس على رأسه تاجاً ذهبياً وهو الذي يخاطب الوزير نيتر ، فهو الامير سيتو أخوك من أبيك وابن شقيقة حرحور . وهو مقاتل كبير ليس لا وسيلعب فقط دور سنان الرمح في هـذا النضال الذي عليك فيه أن تكسر قصبة الرمح واليد التى تحركه والرأس الذى يدبره . ولعمري سلك سيتوسبيل الحكمة بتنازله عن حقوقه في العرش الى خاله حرحور اذ لو لم يفعل لقضى عليه ونبذ جانباً . أما هؤلاء الآخرون . . .

فقاطعه امينمحمت وكان واقفاً خلفنا قائلا

ـ من هذه الفتاة الطويلة ذات الجدائل المصفرة والجلال التى تحدق النظر الى أميرنا ؟

فأجابه ساست بعد هنيهة قائلا

ـ لا أدرى انها من سيدات القصر بلا مراء

فقال امينمحمت

ـ انها لا تبغضك أيها الامير . هذا على الاقل ما أراه من عينيها ـ هذا هو الكتاب الوحيد الذى أحسن القراءة فيه

وفي الواقع كانت الفتاة المذكورة ـ كما قال امينمحمت ـ تنظر الي باعجاب عظيم جلي بعينيها السوداوين الجميلتين . ولما نظرت اليه أيضاً تبسمت ابتسامة حلوة كشفت عن أسنان بيضاء بين شفتين ورديتين على ان ابتسامتها هذه على رغم رشاقتها وجمالها أثارت عواطفي بحيث صرت مثل وحش ضار لا يكبح له جماح

أمسك ساست عندها بذراعي وتمتم قائلا

ــ كن على حذر أيها الامير واذكر الفتاة الفتانة التى لقيتها أمس ــ حذار من النساء

وكان امينمحمت لايزال يراقب الفتاة ويقدرها كما لو كانت حيوانا أو سلعة وهذه خطته دائماً نحو النساء وكثيراً ما كان يقول : « السيف للحرب والمرأة للسلم » . ولا عجب فقد كان امينمحمت جندياً خشناً تختلف طباعه عن طباع أخيه ساست

نظر امينمحمت الى نظرة غريبة وضحك بغلظة وكأنه لم يشأ أن يترك موضوعه فاستطرد فى حديثه قائلا

ــ أظن انها أصيبت بسهام ملاحتك الفتانة أيها الامـير . لعمري تبدو عليها سيماء فتاة عاشقة لاتحجم عن شيء فيه شفاء غليلها . وعندي لاتحاول خداعك كما يفعل النساء أحياناً ــ هذا اذا كنت على عـلم في هذه المسائل

فى تلك اللحظة وقعت ضجة في طرف القاعة وأخـذت جموع الحاضرين من الرؤساء والتجار وأصحاب القضايا وغـيرهم يفسحون الطريق بسرعة امام سيد كبير قادم مع حاشيته

همس ساست اذ ذاك قائلا

ــ أظنه حرحور

وفي الواقع لم تمض لحظة حتي ظهر جسم حرحور الضخم الطويل وهو يمشي الخيلاء يتقدمه زنجيان ويتبعه كثيرون يحملون أعلاماً جميلة مزركشة عليها قرص آمون وغيرها من العلامات والرموز اللامعة

نظر حرحور بجسمه الطويل وعينيه المتقدتين فيما حـوله وكانت

تبدو عليه سيماء الامارة اذ كان يجرى في عروقه دم « آمون ـ حوتب » والده و « رعمسيس ـ نختو » جده من جهة ودم والدته الاميرة آست ابنة رعمسيس السادس من جهة أخرى

أخـذ رئيس كهنة آمون يقلب الطرف بازدراء في جماعة النبلاء والـكهنة ورجال البلاط كما لو كانوا أشياء قذرة تحت نعاله الى ان التقت عيناه بعينى وأنا واقف مرفوع الرأس شامخ الانف مع رفاقي خلف العرش

التقت أعيننا لحظة وجيزة الى أن حول حرحور عينيه الى عينى اوسر رئيس سحرة آمون والقى عليه نظرة استفهام أجابه عليها باحناء رأسه

سار حرحور غريجي الى أن وصل الى قاعدة العرش فحنى رأسه فى حين اصطف عبيده على اليمين واليسار ثم خاطب والدي باسمائه والقابه الـكاملة بصوت جهوري قائلا

ـ تحية وسلاماً أي فرعون يامن لاتنتهي له حياة . تحية وسلاماً يا ابن الشمس امينمحمت ـ رع . ملك الاراضي العليا والسفلى وسيد الجميع ، تحية وسلاماً أي حارس مصر ، بهاء الشمس ومحبوب هورس الابدي !

مد فرعون اليه صولجانه فقبله حرحور ثم وقف منتصباً في حين رد فرعون عليه التحية ببطء وخاطبه كذلك بالقابه قائلا

ـ تحية وسلاماً لك اي حرحور رئيس كهنة آمون والرفيق الاعظم فى البلاد كلها . والقائد العام للشمال والجنوب

وقف حرحور أمام أبي هنيهة وقد وضع يديه على صدره . وكنت

اراقبه فى خلال تلك الفترة فلاحظت أمرين : الاول ان أبى كان في الحقيقة يخاف هـذا الرجل القوى الذي وقف أمامه بقحة مقنعة على هذه الحال . وثانياً ان حرحور كان يعلم هـذه الحقيقة ويستخدمها لفائدته . وقد ادركت أيضاً بشعور داخلي ومن همس النبلاء حولي ان الشعور فى القاعة كان ضد الملك وفي جانب الكاهن الا كبر فغلى دمي عندها فى عروقي ولا عجب فقد كنت مولعاً بالقتال وخيل الي انه لاتمضى مدة وجيزة حتى يقع ذلك

قال حرحور باقدام وشجاعة

ـ لدى التماس أي فرعون النبيل أريد عرضه في هذه الساعه التى عينتها للنظر فى شئون رعيتك

فقال فرعون أبى وهو يوجس خيفة على ما أظن

ـ تكلم

ـ هذا هو التماسى أي ابن الشمس : علمت ان عصابة من الرجال الاشرار حلوا ليلة امس في تلك المدينة التى تبعد عن هنا نحو نصف ساعة الى الشمال ـ على جماعة من كهنة آمون فقتلوا اثنين منهم وجرحوا كاهنين آخرين جراحاً بليغة . وقد علمت فوق ذلك ان هؤلاء الاشرار هم الآن في مدينة نيامون . والآن بصفتي رئيس كهنة آمون اطلب العدالة أيها القاضي العادل

اعجبت بهذه الضربة المنطوية على الاقدام وهمست في اذن ساست قائلا

ـ حقاً لم يضع حرحور لحظة في النزول الى الميدان

فهز ساست رأسه وقال

ـ ولـكن أظن اننا في سلام اذا اظهر والدك قوة كما استقر عليه رأيه صباح اليوم لاننا تحت حماية فرعون . ان عزيمته الجديدة ـ التي لا تبقى طويلا ـ تناضل الآن ضد خضوعه الذى تعوده

قال فرعون

ـ ستجري العدالة مجراها

تحـول حرحور اذ ذاك ونادى كاهنين كانا بين حاشيته فتقدم الرجلان وقدما الى الملك فروض الطاعة . وقد لاحظت انهما مصابان بجراح بليغة وفى الواقع لف جسم أحدهما بعصابات بحيث لم يظهر منه غير عينيه

ضحك امينمحت فى اذنى وقال

ـ ها . أرى ان ماتى ابلي بلاء حسناً فقد قتل وحده منهم رجلا وجرح هذين الرجلين

فلم أجبـه لاني كنت اصغي اذ داك الى القصة الملفقه التى كان الـكاهنان يقصانها فذكرا كيف انهم كانوا سائرين فى احـد شوارع المدينة فانقض عليهم خمسة رجال قتلوا اثنين منهم وجرحوا الآخرين ثم فروا . وكيف انهم اقتفوا أثرهم ـ مع انهم عزل من السلاح ـ الى أن وصلوا الى مرفأ على النهر حيث قتلوا أحدهم بالاحجار

قال فرعون على أثر فراغ الـكاهنين من هذه القرية مخاطباً حرحور

ـ هل قبضت على الرجال الذين اقترفوا هذا العمل ؟

ـ كلا أيها الملك العظيم ولـكني اعلم أين هم

ثم حول عينيه نحونا بوحشية

فسأله فرعون قائلا

ـ أين ؟

فمد حرحور ذراعه وأشار الينا وصاح قائلا

ـ هاهم

أرتد الذين حولنا الى الوراء قليلا وهم يتمتمون وينظرون الينا بعين المقت . أما فرعون فتبسم ابتسامة صغيرة لانه كان يعلم حقيقة القصة فأدرك كيف ان حرحور حولها لفائدته

قال فرعون في النهاية

ـ تقدموا

فتقدمنا أمامه مقابل حرحور وأنصاره وقد رأينا أومر رئيس السحرة وراءه وهو يبتسم ابتسامة تنم على الخبث والدهاء ويتحدث باهتمام مع الامير سيتو . وهكذا وقعت الضربة الاولى وقدوقعت بسرعة

خاطب فرعون ساست لأنه لم يخاطبني الى تلك اللحظة لغاية حسنة في نفسه قائلا

ـ هل هذه التهمة حقيقة ؟

فقال ساست

ـ كلا أي ابن الشمس المقدس

ثم أخذ يقص على فرعون القصة كما وقعت تماماً . غير انه لم يذكر مسألة الفتاة الامر الذي ابتهجت له في نفسي . وقد ختم ساست حديثه وسط سكون رهيب قائلا

ـ وهكذا ترى أيها الملك النبيل الذي لاتنتهي له حياة انه لا لوم علينا لاننا لم نكن الا مدافعين عن أنفسنا . وفوق ذلك ليس بيننا

هنا أحد مس كاهناً من كهنة آمون لان رفيقنا الذي مات هو الذي قتل الكاهن وجرح هذين الاثنين وسقط الآخر من جرح بسيط أصابه بخنجره المسموم لاننا لانحمل شيئاً من ذلك

ثم اشتدت لهجة ساست فقال

ـ والان احكم أي فرعون هل قص عليك هؤلاء الرجال الحقيقة لانهم يقولون انهم كانوا عزلا من السلاح وانهم قتلوا رفيقنا رجماً بالحجارة انظر الى أثر قبضات السيوف التى كانوا يحملونها أخيراً في أيديهم

ثم أشار في الحال الى يدى الكاهنين اليمنتين حيث كانت آثار قبضة السيوف الحمراء ظاهرة جلية

تعالت أصوات الاستحسان اذ ذاك من جانب ضباط فرعون لهذه الضربة المنطوية على المهارة ورأيت الوزير نيفر وهو يبتسم الي

تملك الغضب حرحور عند ذلك واستولت عليه الدهشة واراد أن يتكلم ولكن فرعون رفع صولجانه وامر رئيس الكهنة الصمت

فكر فرعون في الامر قليلا وهو ينظر من فوق رؤوس الجميع الى الفناء الخارجي واخيراً قال :

ـ أرى أي حرحور شيئاً كثيراً من الكذب في هذا الجانب أو ذاك . ومع انه لايبعد أن يكون هؤلاء الرجال كاذبين ولا ريب فى أن كهنة آمون المقدسين لايرتكبون مثل هذ العمل فانه لامندوحة لي مع ذلك ان احكم بما أراه . استمعوا أيها الكتبة ودونوا أقوالنا لكى يذاع حكمنا في هذه القضية في جميع انحاء البلاد ولكي يبقى أبد الدهر

« يخيل الي انك ياساست ورفاقك قد قتلتم وجرحتم كهنة آمون لان الطرفين متفقان في هذا الامر . ان هذه خيانة خطيرة وعلى ذلك مهما كانت العوامل المثيرة لغضبكم فان دفاعكم لا ينفع ولا نحكم لكم بل ندع الحكم لكهنة آمون »

حنى حرحور عند ذلك رأسه ابتهاجاً بفوزه وهو يزعم بلا ريب أن فرعون لا يزال تحت نفوذه . على انني كنت اراقب عيني والدي وهو ينظر الي من وقت الى آخر فرأيت غير مايزعمه حرحور . وفي الواقع استطرد فرعون في كلامه في الحال قائلا

ـ ولكن فيما يتعلق بالقصاص فان الذي ارتكب جريمة القتل والجرح قد نال جزاءه بموته وعلى ذلك لا ننزل القصاص بآخرين . وفوق ذلك أرى أي حرحور ان كهنتك قد استخدموا السيوف فعلا فى المدة الاخيرة ولو اننا لا نستطيع القول الى الان هل استخدموها ضد هؤلاء الرجال أو ضد غيرهم وعلى ذلك نؤجل الحكم لك أيها الكاهن الا كبر للمعبود آمون الى ان تأتي أمامنا هنا في قاعة المحاكمة بجثة الرجل الذي قتله كهنتك فاذا ماعرفه زملاؤه عليك ان ترينا انه قتل رجماً بالحجارة لا بتقطيع السيوف ـ لقد تكلمنا

ساد سكون رهيب لحظة وا كفهر وجه حرحور ولو ان علامات الدهشة كانت بادية على وجهه بحالة جلية . ثم تلت ذلك ضجة عظيمة فكان بعضهم يقول شيئاً والبعض شيئاً آخر الى ان اضطر ضباط فرعون في النهاية الى اسكاتهم . وكان حرحور قد تملك عواطفه فى تلك الفترة فحنى رأسه ثم قال

ـ فرعون منبع الحياة . لقد سمعت كلمتك أي بهاء الشمس

ابتهج والدي بهذ الفوز على رئيس الكهنة ـ وهو الفوز الاول الذي ناله على ماعلمت منذ مدة طويلة ـ ثم تشجع بفوزه هذا فقال ثانية

ـ لدي كلمات أخرى أقولها لكم يامن اجتمعتم هنا حول عرشي ، كلمات ذات أهمية كبرى تبتهجون لها كل الابتهاج . فاعلموا ان الابن رمسيس الذي ولد لي منذ ثلاث وعشرين سنة وأمرت بقتله وهو طفل لم يقتل بل لايزال على قيد الحياة وهو بينكم الآن وقد نجا من الموت بخدعة تمت ضد أوامري ، أصفح عن مرتكبيها في فرحي وابتهاجي

بدت علامات الدهشة على وجوه الجميع ونظر كثيرون بذهول نحونا . أما حرحور واومر واصحابهما فلم تأخذهم الدهشة لهذا النبأ لأنهم كانوا يعلمون كل شيء

مد فرعون بعد ذلك صولجانه الي فتقدمت وجثوت تحت قدميه فقبلني في جبيني ووضع على رأسي تاج الاسرة الملكية الذهبي وكان الوزير نيفر قد توقع ذلك فجاء به معه

صاح فرعون بعد ذلك قائلا

ـ انظروا هذا ولدي الذي فقدته والان قد وجدته ، أمير الاراضي العليا والسفلى . والان اسمعوا هذا أمرنا الملوكي فدونوه أيها الكتبة وأذيعوه أي قواد فرعون مصر وضباطه في جميع انحاء البلاد وهو : اننا لا نعتبر نبوءة هاتور القائلة ان ولدنا سيكون سبباً في جر الويلات على رؤوسنا : وان حرحور رئيس كهنة آمون الذي كان الى الان يدعى بناء على طلب الامير سيتو ـ الوارث الملكي لم يصر بعد الان حاملا لهذا اللقب ولم يعد له الحق بعد اليوم في تسمية نفسه « وارث الاراضى

العليا والسفلى » و « الامــير الوارث للعرش » وهما اللقبان اللذان سيكونان منــذ الان حقاً لولدنا الامير رعمسيس دون سواه ــ لقد تكلمنا

صاح الجميع اعترافاً بالامر قائلين

ــ فرعون منبع حياتنا !

صاح الجميع بهذا القول على رغم ما كان يبدو على وجوههم من علامات الدهشة لتجرؤ فرعون الشيخ الضعيف على مناوأة رجل صاحب حزب قوى مكث مدة طويلة تحت سلطته

حتى حرحور رأسه أمام العرش وأمامى أيضاً ــ وكنت جالساً على يمين أبى اذ ذاك ــ ثم صاح هو أيضاً قائلا

ــ فرعون منبع حياتنا !

على انى رأيت فى هذه اللحظة انى أواجه في الواقع خصما عنيداً استطاع أن يتملك عواطفه حتى تحت تأثير مثل هذه الصدمة القوية

قام فرعون على أثر ذلك وغادر قاعة المحاكمة وهو يتكيء على ذراعي الى جناح القصر الخاص به في حين سجد الجميع أمامنا

وبينما كنت خارجاً اذ وقع نظرى فجأة على وجــه الفتاة الحسناء التي أشار اليها امينمحمت وكانت لا تزال تنظر الي فعجبت فى نفسي كثيراً من أمرها لأن امارات الاعجاب وشيئاً أكثر من ذلك كانت مكتوبة بخطوط جلية واضحة على وجهها . على اني رأيت أيضاً أعين الشر التي كان يرمقني بها حرحور وأوسر وبسار وغــيرهم فعلمت أن أعدائى ليسوا قليلين فى قصر الملك

الفصل التاسع

قضيت بقية ذلك اليوم فى النوم والراحة وفى المساء وقعت حركة كبيرة لاعداد الغرف الخاصة بى والعبيد والحرس وغير ذلك من الانظمة والترتيبات اللازمة لمكانة ولي العهد . على انني لم أعر كل ذلك اهتماماً وأبلغت الوزير ورجال التشريفات أن يعملوا مايروق في أعينهم لانني أشعر بتعب شديد من جراء سفرى الى نيامون وماشهدته من الحوادث المشهودة ليلة أمس واليوم

وفي صباح اليوم الثاني فحص كتبة القصر ملف الاوراق الذي جئت به من هيكل بتاح وسألوا ساست هل أنا الامير حقاً . وهذا العمل لم يكن مندوحة منه حتى لايقول أحد من الناس فى المستقبل انى محتال ولما لم يجد الكتبة غشاً أو خداعاً أرسلوا في الحال أمر فرعون لكي يذاع فى جميع انحاء مصر

جلست بقية الصباح والجزء الاكبر من بعد الظهر فى جلسة رسمية بجانب فرعون أبى حيث جاء أعيان نيامون وقواد الجيش ورؤساء القضاة ورؤساء الكهنة فى جميع الهياكل والمعابد وكثيرون غيرهم وقدموا فروض الطاعة الي بصفتي الأمير الوارث للعرش واقسموا بين يدي يمين الاخلاص

وقد لاحظت ان بعض هؤلاء كانوا يقسمون يمين الولاء بابتهاج كبير فى حين كان كثيرون يقسمون بخبث وخداع ولكنهم مع ذلك أقسموا كلهم لأنهم لم يسمحوا بما كانوا يكنونه فى قلوبهم ان يظهر على وجوههم . وفي الواقع جال بخاطرى أن الحياة فى القصر تشبه قشرة

ثمرة حلوة ، فرعون ساقها فى حين يشبه حرحور وانادودنين تناضلان وتتنافسان فى قلب تلك الثمرة الفاسدة فاذا ما كسر ساقها سقطت الثمرة وبان مابداخلها من التعفن والفسادالذي قد تنمومنه ثمرةأخرى جديدة سليمة

هـذا ماجال بخاطرى وأنا جالس اراقب النبلاء وهم يحنون لى رؤوسهم ويقسمون يمين الطاعة والاخلاص ، وقد ابتهجت نفسى بما أصاب حرحور الذى حاول أمس فقط وهو يعرف من أنا أن يوقفنى موقف القتلة المجرمين

لما فرغنا من تناول العشاء فى المساء بعد انتهاء هذه الحفلة ذهبت مع ابى فرعون لتقديم فروض الشكر والتعبد مع جميع الاشراف والنبلاء في هيكل المعبود آمون العظيم الساكن في الابدية . أماساست ورفيقاي الآخران فلم يرافقونى لأنهم أعطوا غرفاً فى مكان آخر من القصر وعلى ذلك لم أرهم منذ بعد ظهر اليوم السابق لما كنا فى قاعة المحاكمة الكبرى

وجـدت انهم أعطونى عـدداً كبيراً من العبيد المدربين الامناء وحرساً خاصاً من الجنود وكثيراً من الجوارى كـذلك للقيام بالواجبات الخاصة بالغرف ولتسليتي وسرورى ولـكنى كنت أخشى الاقتراب منهن وأخاف خبثهن ـ ولانه لم تكن بينهن واحدة جميلة يميل الانسان الى النظر اليها

لم يكد يقـترب زورق « رع » الذهبي (الشمس) من سمته الغربى حتى كـنا نسير مجتازين شوارع طويلة مظللة فى موكب رهيب يتقدمـه لواء من الجنود لافساح الطريق يتلوه جماعة من الكهنـة

بثيابهم البيضاء في حين كان يحمل هودجنا عبيد غلاظ ويحيط بنا من الجانبين حملة الاعلام والطبول والدفوف . وكان خلف حاشيتنا جماعه أخرى من الكهنه يحملون رموزاً مختلف المعبودات والآلهه ثم يلي ذلك هودجي وهودج الامير سيتو مع جميع النواب بحليهم اللامعة ثم يأتي في النهاية جماعة من حملة الرماح الملكية والجنود المأجورة ليمنعوا الناس من الاختلاط بنا

لما وصلنا الى شاطيء النهر — لأن هيكل آمون كان في الجهة الشمالية من المدينة وعلى الصفة الشرقية لنهر سيحور (النيل) حدث أمر صغير في حد ذاته الا أنه كان من الممكن أن يتطور تطوراً خطيراً وقد دلني فوق ذلك على انني سأجد في حرحور خصما قوياً وغريماً خطراً ، ذلك أن رجلا من الكهنة المتعصبين صاح ببعض كلمات فيها شيء يمسني أثناء سيرنا وسط الشوارع المزدحمة واتفق ان بسار حاكم المدينة الذي أخبرني ساست انه من أشد أنصار حرحور — كان يسير خلفي مباشرة فوثب وسط الزحام قبل أن يتمكن رجال الحرس من القبض على الرجل ثم أمسكه بيديه وسلمه الى رجال الحرس وهو يظاهر الاستياء الشديد وأمر بجلده

غير انني لم أقع في الفخ الذي نصبوه لي وهو انني لم أعتقد من عمل بسار هذا انه من الموالين المخلصين لي ولوالدي لأن ساست كما قلت كان يعرفه لحسن الحظ ويعرف انه من عصبة حرحور . وعلى ذلك لما رأيت يد رئيس الكهنة في هذه المكيدة لم أفه بكلمة لبسار عند ما اقترب مني وهو يتوقع مني شكره والاعراب له عن امتناني

فكرت في الامر كثيراً فرأيت كيف ان حرحور لما فشل في مكيدته

الاولى حاول ـ وهو يجهل ان ساست يعرف بسار ـ ان يضع علينا جاسوساً من رجاله نوليه ثقتنا ونطلعه على أسرارنا من البداية

أخيراً عبرنا النهر في أسطول من الزوارق المزينة المجملة التي يديرها جماعة من النوبيين الاقوياء العراة الاجسام ووصلنا الى هيكل آمون الاكبر في شمال « اوبى » الذى لم يقع منظره فى نفسي موقع هيكل بتاح في منف على رغم بنائه الضخم وما ادخل عليه الفراعنة من التحسينات البديعة

وكان حول الهيكل عدد من الابنية الاخرى تحيط بها الاسوار العالية والحدائق ثم قصور الكهنة والكاهنات ومصايف النبلاء الاغنياء والاشراف كما كانت هناك هياكل أخري صغيرة للآلهة « ميوت » و « منتو » و « اريس » وغيرها .

وكان هناك أيضاً هيكل جميل للمعبود « حونس » أبلغني ميريس رئيس عبيدي وتشريفاتي ان جدى رعمسيس الثالث هو الذى بناه . أما الابنية كلها فكان بعضها يتصل ببعض بممرات طويلة وسط الاحراج وقد نصبت على جوانبها تماثيل ابى الهول وكانت توصل الى هيكل آمون الثانى في جنوب « لوبي » وهو الهيكل الذي أسسه امينحوتب نفسه

دخلنا من باب الهيكل الكبير ـ وكان على يمينه معبد صغير جميل ـ ثم سرنا مباشرة الى « قاعة الاعمدة » الشهيرة التي كان سقفها محمولا على عدة أعمدة منحوتة متقاربة . ومع انها كانت تنار من الوسط بكوات صغيرة الا انها كانت دائما مظلمة حتى فى رابعة النهار فى حين كان الكهنة وهم يروحون ويغدون بين الاعمدة يشبهون اشباحا قادمة

من « آمنتي ». وقد شيد هذه القاعة ـ كما أخبرني ميريس أيضاً المعبود سيتي فرعون مصر

اجتزنا هذه القاعة الى فناء توثميس الاول ـ وبينما كنا نسير الى قاعة أخرى مزينة بنقوش بديعة تتضمن تاريخ اوزوريس رأيت مسلات شاهقة انشأتها الملكة هاتشيبسو المقدسة التي كانت ملكة على مصر منذ اعوام عديدة

وصعت هوادجنا أخيراً في الجزء القديم من الهيكل أي في القاعة الداخلية المجاورة للمعبد المصنوع من الجرانيت وهو معبد عتيق شيده الملك أوسرتاسن منذ أكثر من الفي سنة. ويقال ان تحت هذا المكان ممرات ودهاليز وغرفا حيث يقطن الكهنة والسحرة الذين يدرسون اسرار آمون وحيث وضعت كنوز ثمينة

نظرت فيما حولي فرأيت في المعبد تمثال المعبود الاكبر « آمون ـ رع » نفسه وقد اختفى قليلا وراء ستارة زرقاء اللون وكان الى جانبه تمثال الام الكبرى ميوت والشاب « خونسو » وهو يحمل القمر . ثم رأيت الى جانب هذه التماثيل حرحور نفسه ـ وكان يرتدي ثياب الكهنوت ـ ثم أوسر رئيس السحرة والكهنة والكتبة وكثيرين غيرهم قدموا كلهم الينا فروض الطاعة عند ماوصلنا الى أرض المعبد المصنوعة من الرخام الجميل

بدأت بعد ذلك صلاة طويلة قدم حرحور في خلالها ـ مكرهاً ـ فروض الشكر الى آمون لرده ابن فرعون الى أبيه بعد أن فقده مدة طويلة . ولما فرغ رئيس الكهنة من صلاته قدمت أنا وأبي قرباننا وسكبنا الزيت والخمر وحرقنا البخور وقدفعلت كل ذلك باحترام لانه

يجب اكرام جميع الآلهة ولو ان اتباعها ليسوا دائماً من الذين عرفوا بالاخلاص وحسن النية

صليت الى بتاح في نفسي وأخيراً تولاني الملل من الصلوات والتراتيل المتواصلة فخرجت من قاعة الصلاة وأخذت اقلب الطرف فيما حولي من النقوش البديعة والرموز الجميلة باهتمام شديد

رأيت فى النهاية جماعة من الكهنة واقفين الى اليسار في رحبة صغيرة يجتازها صفان من الاعمدة ـ اعتقدت اعتقاداً صحيحاً انهم جماعة الموسيقيين في الهيكل اذ كانوا يحملون آلات موسيقية مختلفة كانوا يوقعون عليها اثناء التراتيل ويغنون في بعض الاحيان غناء بديعاً

وبينما كنت انظر الى هؤلاء بشيء من عدم الاكتراث تملكتني عاطفة غريبة لم أشعر بمثلها من قبل وشعرت برغبة لا تقاوم للتقدم نحوهم والنظر الى وجوههم . ومع انني كنت احول رأسي عنهم كثيراً وانظر الى أجزاء الهيكل المختلفة محاولا فحص النقوش والصور وغيرها من الزينة البديعة فقد كانت عيناي تتحولان دائماً بقوة قاهرة الى جماعة الموسيقيين الواقفين في ظلال الاعمدة الضخمة

حرت فى نفسي من أمر هذا الشعور الغريب الى أن خطر ببالى انه لابد أن يكون أحدهم قد تسلط علي بسحره لانني كنت واقفاً وسط الرحبة ظاهراً تحت المصابيح المصنوعة من البرنز . وفي الواقع تذكرت كثيراً من الحيل السحرية التي أخبرني ساست عنها وكنت أعلم حق العلم ان فى وسع الذين يعرفون أسرار الآلهة أن يؤثروا بالقاء افكارهم في الهواء في أفهم واعمالهم كارغير ويكرهوهم على الاذعان

لارادتهم

ومع ذلك لم يكن هذا التأثير مما تنفر منه النفس بل بالحرى كان ساراً لديذاً ملأ نفسي رغبة غامضة وذكرى حلوة غير معينة . وكان مع هذا الشعور رغبة كانت تزداد شدة للنظر الى وجوه الواقفين وراء الاعمدة لأنني شعرت يقيناً بأنى سأجد هناك تفسير ما حير عقلي وأربك فكرى

وكانت هذه العاطفة قد اشتدت فى نفسي بحيث لما انتهت الحفلة وكاد الزنوج يحملون هوادجنا الى الباب الاكبر الخارجي — أمرت ميريس رئيس العبيد والتشريفاتى الخاص بى أن يحملنى عبيدى ويمرون بى من أمام جماعة الموسيقيين بدلا من أن يتبعوا فرعون مباشرة

اقتربنا من الموسيقيين فرأيت أنهم يؤلفون من رجال ونساء من الكهنة والكاهنات — كما هو الحال في هيكل بتاح — وكانوا الآن قد بدأوا يتحركون بعد انتهاء الحفلة ويسيرون فى موكب قاصدين قاعة الكهنة

أخذت احدق النظر الى وجوههم اثناء مرورهم لكى أقف اذ استطعت على معنى هذا الشعور الغريب الذي استولى علي ولو انى لا أستطيع أن أدرك السبب الذي حملنى على أن أكبد نفسى مشقة هذا العمل الذي كان شيئاً ما فوق شعوري الخاص وخارجاً عن حدوده

وبينما كان الموسيقيون يمرون من أمامي — الكهنة أولا ثم الكاهنات — وهم ينظرون الي بدهشة وأنا مضطجع فى هودجى — أخذت اضحك من نفسي وأعجب من جهالتى . ومع أن الشعور الغريب

الذي تملكني كان لايزال قوياً فقد كدت أصدر أمري بالتحول والذهاب ـ على انه التقت عيناى فجأة بعيني احدى المذارى وكانت تحمل « الجلجلة المقدسة » فى طرف الصف

انتقلت عيناي عن عينيها لحظة قصيرة الى قوامها البديع واجزاء جسمها الرقيق ومنكبيها العاجيتين العاريتين وثوبها الابيض وقد أمسك بمنطقة ضيقة تحت انحناء صدرها مباشرة وجدائل شعرها المعصوبة حول رأسها الصغير برباط من فضة

خيل الي اد ذاك ان دقات قلبي وقفت وانفاسي انقطعت ودمي يضطرب بجنون في عروق ـ وبعدها تحولت عيناي الي عينيها ثانية

أحدقت النظر دقيقة كاملة ـ كما لو كنت تحت تأثير سحري ـ الى تينكما العينين السوداوين العميقتين وأدركت ان التأثير الغريب القاهر الذي شعرت به كان آتياً منها ـ ومنها وحدها

تحولت الرغبة الغامضة الغريبة الى نار متقدة ـ ثم تلاشت لانني وجدت في تلك اللحظة ما كنت أبحث عنه . ولا عجب فقد اشتعلت بيننا فجأة شرارة تفاهم ومعرفة وحب وأبدية وصار كل شيء حولي من الهيكل والكهنة والعبيد مظلماً ومعتماً كمخلوقات في عالم آخر فلم أع شيئاً اللهم الا أني كنت احدق النظر الي تينكما العينين السوداوين العميقتين . . .

تمثلت حولي مناظر غريبة حجبت اعمدة الهيكل ونقوشها وصورها ، مناظر قديمة لا أعرف عنها شيئاً . .

. . . أمامي اشجار ضخمه وحيوانات غريبه الخلقه وزحافات ومظلة غليظه من أوراق الاشجار عاليه فوق رأسي كانت تتساقط

منها قطرات من الندى الساخن الى الارض الملتهبة ... ناضلت فى سبيل انقاذ حياتى وحبي ـ ومع ذلك كنت لا أزال احدق النظر الى تينكما العينين الغريبتين . . .

تمثلت أمامي ثانية قصور بديعه وحصون منيعه لاتوصف ورأيت رجالا غلاظاً وأمراء وحكاماً كنت بينهم ـ أنا الامير ـ عبداً رقيقاً . على ان السعادة كانت معي لان التى أحببتها كانت دائماً الى جانبي ، أمه رقيقة مثلى . وقد تحولت اليها فأحدقت النظر مرة أخرى الى عينيها الجميلتين السوداوين وقرأت فيهما سر الروح الرهيب . . . جاء الآن بحر هائج مضطرب الامواج يعلوه الزبد وتكتسحه العواصف ، عليه سفينه لم أر لها مثيلا . . . اصطدمت السفينه اصطداماً شديداً فازدحم رجال غلاظ بلحى حمراء مثلي على ظهرها . . . وكان بين ذراعي قوام نحيل بعينين سوداوين واهداب طويلة وجفون تفتحت فى النهاية عنـد ما أمكست قبضه الحب الحديدية بقلبي . . . وبعدها احدقت النظر ثانيه ـ كما فعلت منذ عصور عديدة ـ الى تينكما العينين اللتين أبقتا فى اعماقهما الحياة كلها ، والحب كله ، والابديه كلها . . .

هب نسيم المساء البارد على جبينى اثناء انتعاشي ببطء . في حين كان العبيد يفركون يدي ويبتهلون الى الآلهه . وكان هودجي فى الخارج في فناء توتميس ، وبعض رجال الحرس يمنعون الكهنه وخدم الهيكل وغيرهم ممن التفوا حول المكان للوقوف على حالتي

خيل لي أني أرى كل هذا بشكل غامض غير جلي . وقد مكثت هنيهة بحالة ذهول أطيل النظر الى كبش مقدس المعبود آمون ـ رع اخترق الصفوف دون أن يجرأ أحد على مسه ثم وقف يحدق النظر

الى هودجي بعينين بهما شيء من الخوف والعجب

صاح ميرس قائلا

ـ هل أفقت أيها الامير ؟ أواه تكلم يا سيدي وقل انك بخير

فأجبته قائلا

ـ انني بعافية يا ميريس

فصاح ميريس في الحال قائلا

ـ شكراً لك أيها المعبود المقدس «آمون ـ رع» . لقد امتقع وجهك وأغمضت عينيك وأنت تراقب جماعة الموسيقيين . لاريب في انه لو كان اصابك شيء لجزت رؤسنا كلنا

ثم انتفض خوفاً وأحدق النظر الى الآخرين فتبسمت وقلت

ـ كن مطمئناً . لقد ذهب فرعون أمامنا مع حاشيته ولا يعلم من هذا شيئاً وسوف لا أخبره أنا بشيء . أظن انه اصابني دوار بسبب شدة الحر في الهيكل والبخور

على انني أخذت أفكر في نفسي كثيراً أثناء عودتنا الى القصر الملكي لانني كنت واثقاً من انه ليس البخور ولا حرارة الهيكل هما اللذان تغلبا علي بهذه الصورة بل هو شيء ما أعمق وأقوى وأقدم من الكهنة والهياكل ، شيء أقدم من الآلهة نفسها

لم أشاهد من قبل هيكل آمون العظيم في نيامون ولا رأيت من قبل هؤلاء الكاهنات اللائي يشتغلن بعزف الموسيقى على انني رأيت في عيني تلك العذراء ذات الجدائل القصيرة التي كانت تحمل « الجلجلة المقدسة » في يدها ـ لمعرفة سر ورأيتها ايضاً ممكوسة في مرآة عيني . وفي الواقع علمت في أعماق نفسي حق العلم ان هذه ليست أول

مرة التقت فيها روحانا على الارض ولو انه يجوز اننا التقينا في عصور سابقة وبلاد أخرى لانني تعلمت من ساست وأبيه من قبله شيئاً عن أمرار الالهة وأرواح البشر والحياة الابدية والحب الابدى

لما وصلنا في النهاية الى الباب الخارجي للقصر كنت لا ازال افكر بالفتاة التى رأيتها وبملاحتها وهي واقفة بثوبها الابيض تحفها الطهارة والعفاف وبمحياها الجميل وشفتيها المتوردتين وخصوصاً فكرت بجدائل شعرها التي كانت تحيط بوجهها كالهالة وتتدلى فوق منكبيها لان العادة في مصر ان الفتيات كن يضفرن شعورهن ضفيرتين طويلتين أو عدة ضفائر قصيرة

لم أستطع ابعاد فكرتها عن مخيلتي وتملكتني مرة أخرى رغبة شديدة جنونية كانت تدفعني نحو رؤيتها ثانية وكانت هذه الرغبه أشد من تلك الرغبة الغامضة التي تملكتني في الهيكل . وفي الواقع كانت الرغبة الاولى تجاذب بين روح وروح أما الآن فكانت نداء بين فكر وفكر وجسد وجسد ، ورغبة تحولت الى روح وجسم وشكل

الفصل العاشر

قابلني تلك الليلة ساست وامينمحمت لمحادثتي في شؤون القصر لانهما قضيا يومهما في اكتشاف وسبر غور الدسائس العديدة والمؤامرات السرية التى كانت تردد دائماً انفاس الحياة في القصر

تحدثنا كثيراً ووضعنا خططاً عديدة فى أمور مختلفه وبعدها ذ كرت لهما ما اصابني فى الهيكل والشعور الذي تملكنى. على أن ساست بدلا من أن يساعدنى كما توقعت ذلك منه نظر الي بعين القلق وانذرنى قائلا

ـ توخ الحذر ايها الامير في معاملة كاهنات آمون فان كثيرات منهن قطعن على انفسهن عهد العفه وارتبطن برابطه الزواج بالمعبود ومع انك الامير الوارث للعرش فان تدنيس المقدس هو الشيء الوحيد الذى يمكن مقاضاتك عليه لان الدين في ارض مصر فوق أمارة الملوك

« ثم احذر ايضاً فى معاملاتك مع النساء لاسباب اخرى واعتبرهن خصما لك في المهمه التي القيت على عاتقنا، تحركهن حسب ارادتك، لاتخضع لارادتهن ولا تدعهن يلعبن بك على انني ارصيك ان لاتتجنبهن بتاتاً لانك جميل المحيا وفي وسع الانسان ـ مع امرأة تحبه حباً صادقاً ـ ان يقوم بعظائم الامور لأنها لاتفكر بالمستقبل بل بالحاضر فقط

فقاطعه امينمحمت كعادته بخشونه لم أعرها اهتماماً قائلا

ـ يالك من أخ عبوس الوجه . لماذا تلوم أميرنا دائماً ؛ دعه وحق هاتور يتمتع بضروب السرور كما يشاء . أقول لك انه يهوى فتاة رشيقه فدعه يحظى بها اذا شاء فانها لانقتله لماذا تريد أن لا يمس فتاة طول

حياته ـ خصوصاً فتيات نيامون الفاتنات ؟

زعم ساست اني غضبت من قوله فتولاه شيء من الخجل وقال

ـ اسألك المعذرة أيها الامير اذا كنت قد اسأت اليك في شيء. ان غيرتي على قضيتنا تتغلب على كل شيء آخر ـ حتى على حبي لك في بعض الاحيان

شعرت بشيء من الاستياء لارتيابه ولاستخفافه بالشعور الغريب الذي تملكني بعد ظهر ذاك اليوم . على اني صفحت عنه وأخبرتهما في الحال كيف طلبت الي والدي أن يقطننا وميناس في جناح القصر الذي أعد لي بدلا من بقائهم بعيداً عني وأن يعامل ساست بالكرامة التي يستحقها بصفته رئيس سحرة بتاح وهي خطة ابتهج لها الشقيقان كثيراً . وفي الواقع كان لايود أحد منا الابتعاد عن الآخر — على رغم كثرة الحرس حولنا — لكثرة أعدائنا في القصر

لم نكد نفرغ من حديثنا حتى دخل ميريس رئيس التشريفات علينا وقال ان شخصاً في الخارج يريد محادثتي

فسألته قائلا

ـ هل تعرف من هذا الشخص ؟

فأجابني قائلا

ـ كلا أيها الامير ولو انها امرأة ـ انها سيدة تتبعها جاريتان ترتدي ثوباً طويلا وقناعاً ثقيلا . على اني أعرف احدى الجاريتين شبهاً وهي من جواري قصر حرحور وقد رأيتها في خدمة السيدة تنزو ابنة حرحور رئيس كهنة آمون

فتحولت نحو ساست وسألته قائلا

ـ انها سيدة من قصر حرحور فهل تزعم انها دسيسة ؟

فكر ساست قليلا ثم قال

ـ يكاد لايعقل انهم يقومون بدسيسة ظاهرة لأنهم يستخدمون في ذلك الرجال لا النساء . كلا . ربما حدثت محاولة لكي . . . لكي . . . كما حدث في تلك الليلة أيها الامير

وكانت ذكرى الفتاة التي رأيتها في الهيكل لا تزال عالقة بفكري، فأغربت في الضحك قائلا

ـ لاشأن لي بعد الآن بمثل هذا . اني الآن أعظم حكمة

فقاطعني ساست فجأة قائلا

ـ انتظر ! لدي فكرة . اعلم أيها الامير ان في قصور الملوك توجد دائماً دسيسة داخل دسيسة مثل انصاف اقطار داخل دائرة فمن المحتمل أن تكون هذه احدى سيدات قصر حرحور أرادت بدافع بغضها له أن تمد لنا يد المساعدة للوصول الى غرضنا اذ اعلم ان السد قد قام الان بينك وبين حرحور . اذا كان الامر كذلك كان هذا مما يساعدنا على تنفيذ خططنا وفرصة يجب أن لا ندعها تملت من أيدينا . والان في وسعنا أن نعرف اذا كانت هذه المرأة صادقة فيما تقوله أو مخادعة

فسألته قائلا

ـ كيف ؟

ـ مر ميريس أن يبحث عن الباب الذي دخلت الفتاة منه الى القصر لأنها جاءت من الخارج بلا مراء فاذا كانت دخلت من أي باب غير الباب الجانبي الغربي فانها تكون غير مخلصة لنا لان جميع حراس تلك

الابواب من مأجورى حرحور هذا الاسبوع ومن أنصاره فاذا كانت مكيدة استطاعت والحالة هذه أن تدخل بأغضاء نظرهم عنها

« أما اذا كانت من جهة أخرى تسعى فعلا فى سبيل مساعدتك فانها تدخل من الباب الجانبي الغربى لـكي لا يعرفها الحراس الذين هم من حزبها وهي تزورك . وفوق ذلك سأختبيء — على سبيل الحذر — مع أخي امينمحعت وراء هـذه الستائر لـكي نقدم اليك المساعدة اذا تطلب الامر

— ليكن ماتريد

ثم تحولت نحو ميريس وخاطبته قائلا

— اذهب ومر السيدة بالدخول وبعد ذلك ابحث كما سمعت عن الباب الذي دخلت منه الى القصر ثم عد واخبرنى بكلمة واحدة دون أن تثير شكوكها

ذهب رئيس التشريفات دتمتم ساست قائلا

— لا ريب فى أنها احدى وصيفات السيدة تنرو اللاتى تثق بهن ، أغضبها حرحور فأرادت أن تنتقم منه بمساعدتك أيها الامير رعمسيس

تكلم امينمحعت اد داك لاول مرة منذ بضع دقائق قائلا

— أو يحتمل أ كثر من ذلك ان تكون محظية نبذها فأرادت أن تحفر له حفرة ليسقط فيها . ان الحذاء الذي ينبذه الانسان هو الذي يسبب له العثرة دائماً لا الحـذاء الذي لا يزال في رجله ولـكن لا تنس هـذا أيها الامير وهو ان النساء لا يقمن بهذه الامور بدافع نفع الآخرين فقط

ثم عبر ني نطرة د ت معنى قبل أن يختبىء مع أخيه وراء الستائر

الكثيفة التي كانت مدلاة بجانب النافذة

رفع ميريس على أثر ذلك الستارة المدلاة على الباب ودخلت السيدة المتنكرة ثم سارت نحوي بخطوات بطيئه

وقفت الفتاة مترددة وسط الغرفة لحظة والجاريتان وراءها . وأخيراً لما رأت اني منفرد رفعت عن وجهها القناع والقت بالمعطف تحت قدميها فلم أتمالك نفسي عندها وتولتني الدهشة . ولا عجب فقد رأيت أمامي الفتاة نفسها التي كانت تحدق الي النظر بعدظهر ذاك اليوم في « قاعة المحاكمة » وكانت ترتدي ثوباً أبيض شفافاً كشف عن كتفيها وصدرها ـ وهو الثوب الذي ترتديه عادة أميرات مصر ـ تحفها المهابة والجلال

أحدقت الفتاة الي النظر كما فعلت في المرة الاولى فرأيت انها ليست امرأة عهد اليها بمهمة أو محظية نبذت من بيت حرحور بل بالحري أميرة وسيدة من بيت رفيع جاءت لمهمة تتعلق بها

أخيراً حنت الفتاة رأسها أمامي بحيث وقعت عيناي على جمال كتفيها العاريتين ثم قالت بصوت عذب رقيق

ـ هل عجبت أيها الامير رعمسيس لمجيئي الى هذا الليلة

فقلت بشيء من الحيرة

ـ نعم وأيم الحق . هل تريدين مني شيئاً ؟ . . . التماساً ؟

فقاطعتني بأنفة قائلة

ـ كلا . لم آت لأتوسل أو لأطلب شيئا بل جئت لأعطي ـ وهو أمر جديد لدي

فتولاني شيء من الارتياب من نحوها وسألتها قائلا

ـ ماذا لديك لتعطيه ؟

ـ اصغ أيها الامير الوارث للعرش لحظة وجيزة لخادمك

سمعت الفتاة اذ ذاك وقع أقدام في الخارج فالتقطت القناع كالبرق وغطت وجهها

دخل ميريس الغرفة ثم حني رأسه وقال

ـ الغرب ، أيها الامير

ثم غادر الغرفة في الحال فارتاحت نفسي وذهبت وساوسى لأنى أيقنت من هـذا البرهان الجديد مع ماقاله أمينمحمت وما رأيته فى عينيها في تلك اللحظة ان الامر ليس دسيسة أو مؤامرة بل بالحري كان مجهوداً صادقاً لمساعدتي

استطردت الفتاة في حديثها بعـد أن تلاشى وقع أقدام ميريس فقالت

ـ اعرنى أذناً صاغية أيها الامير اذ لدي اقتراح اعرضه عليك ـ اقتراح سري

فأجبتها بأن أشرت الى جاريتيها بسكون فأجابتني على انذارى الصامت بقولها

ـ كلتاهما بكماء صماء يمكن الثقة بها

ثم عادت الى موضوع حديثها فقالت

ـ اعلم أيها الامير كما يعلم الجميع حق العلم ماوصلت اليه الامور في هـذا القصر بينك وبين كهنة آمون وأقول لك انه ليس هناك وقت يمكن تضييعه . ولـكن قبـل أن نخوض في ذكر هـذا الامر أو فيّ الأمور الاخرى أظن أنه خير لنا أن نكون على بينة من أمرنا . فهـل

تعرف من أنا !!

ـ كلا أيتها السيدة اللهم الا انك من بيت حرحور

فأجابتني ببساطه قائلة

ـ أنا تنزو ابنة حرحور

ثم استطردت في حديثها بسرعة قبل أن أفوه بكلمة قائلة

ـ اعلم أيها الامـير ان العلائق بيني وبين أبي ليست على مايرام . ولعمرى يظهر أن الخطط العظيمة التى وضعها وألقابه وتحققه من الاستيلاء على العرش قد أربكت عقله بحيث أرى أنا صغرى بناته ان قصره لم يعد يسعني ويسعه . ولست فوق ذلك راضية عن مشروعاته لأنى لا أكون مع اشقائي وشقيقاتى الكثيرين الا احدى الاميرات وهذا لايروقنى قط لأنني كبيرة المطامع راجحة العقل . وعندي مهما كانت هذه المكانة رفيعة فانى اتطلع الى مكانة أرقي وانى اؤثر المقامرة بكل مالدي للوصول الى بغيتي هـذه على أن اقنع بالقليل ثم ـ وهنا رق صوتها بحالة غريبة وحجبت اهدابها الطويلة عينيها ـ ثم لا أريد أيها الامير المبجل ان أراك مغلوباً مقهوراً ـ مقتولا وهو ماسيصيبك بلا مراء لأن حرحور اليوم ذو سلطان وفرعون ضعيف . . .

أردت اذ ذاك أن أقطع عليها الحديث فرفعت يدها وقالت

ـ كلا . لاتقطع علي الحديث . انظر . لقد توخيت معك كل صراحة فاسمع اذن اقتراحي : تعلم كما أخبرتك الآن ان العلائق متوترة بيني وبين أبي فاذا وعدتني شيئاً واحـداً استطعت أن اقسم حزب أبي شطرين فيتعلق الحزب الذي يبغضه بي أو بعبارة اخرى يتعلق بك فلا يبقى مناوئاً لك غير نصف حزبه فقط . وعلى ذلك لاريب في انك تقضي

على اعدائك ونجلس آمناً على عرشك بعد وفاة أبيك

تولتني الدهشة لهذا القول فوق ما اعتقد اذ رأيت أمامي فرصة طيبة للوصول الى بغيتي التي كانت تبـدو فيما مضى محفوفة بالمتـاعب والاخطار . وقد لاحظت فوق ذلك ان ماقالته الفتاة ليس بعيـد الاحتمال لأنه لا مندوحة دائمـاً في حزب كبير كحزب حرحور من وجود خلاف بسيط لايمكن رؤيته ولا يفيد الخصم مالم يظهر وتتسع هوته بالخطط المبنية على الحذق والمهارة

أخيراً خاطبت الفتاة قائلة

ـ ماهذا الشيء الوحيد الذى تريدين أن أعدك به ؟

فأجابتني بصوت رقيق قائلة

ـ هو هـذا : ان أجلس الى جانبك ـ بعد أن تنال الغلبة على اعدائك ـ كزوجتك الشرعية وملـكة البلاد

ثم تغيرت لهجتها الى لهجة التوسل وهي واقفة بثوبها الرقيق تحدق النظر الي بعينيها اللامعتين وقالت :

ـ لاتغضب على أيها الامير رعمسيس . ليس ماذكرته الا مساومة أراها حسنة لفائدتك اذ لابد أن تتزوج بفتاة ما . بفتاة يجرى في عروقها دم الملوك ـ مثلي لأنني من سلالة الاميرة آست ومن أبيها رعمسيس السادس . وفوق ذلك اذا اخذتني الى عرشك وفراشك تغلبت على أبي فى سباقكما للوصول الى العرش ومنعت برابطة زواجي بك جميع الدسائس التى تدبر ضدك فى الخفاء

ثم عادت فقالت بانفعال

ـ وحق اوزوريس . ليس الامر الا مساومة انني أعرض عليك

تاج الفراعنة المزدوج مقابل شيء واحدوهو انني اشاطرك ابهةالملك كملكة مصر

أمسكت الفتاة عن الكلام هنيهة ولما لم تبد مني اشارة عادت الى الكلام بلهجة رقيقة قائلة

ـ في وسعنا ، أنا وأنت ، أن نحكم هذه البلاد الجميلة كما لم يحكمها أحد من قبل وسأفعل كل شيء ـ كل شيء تريده أيها الامير ـ ثم تداركت الأمر فقالت بسرعة ـ وهذا على الاقل مقابل ماستعطيه اياي من نفوذوسلطان. ولهذا الغرض وحده أطالب أن أكون ملكة مصر وزوجة الملك الشرعية وام أولاده وعروس فرعون المعبود المقدس .. والا بالطبع ماطلبت ذلك

أرخت الفتاة عينيها الى الارض وتخضب وجهها وعنقها وصدرها بحمرة الخجل والحياء . وقد رأيت ، أنا الذى ليست لي دراية كبيرةفي معرفة أفكار الفتيات ـ من لمعان عينيها ومن نظراتها الي ان الطمع ولو انه من الاسباب الكبرى ـ لم يكن السبب الاساسي

فكرت بعد ذلك بساست وشكوكه الدائمة فخطرت في الحال في عقلي فكرة اعجبت بها لأنها كانت برهاناً قاطعاً رأيت أن أقدمه الى ساست المختفى وراء الستارة لأني كنت واثقاً من اخلاص الفتاة بدليل ماقرأته فى عينيها فتبسمت وسألتها قائلا

ـ لقد أطلعتنى على أسرار كثيرة فلنفرض الآن انني بحت بهذه الاسرار الى آخرين

فصاحت وقد تملكها رعب جلي ظاهر قائلة

ـ اواه. اذا كنت رجلاشريفاً... أتوسل اليك ... انأبي يقتلني..

ارتاحت نفسي وقتئذ لنجاح حيلتي . وفي الواقع لو كانت إقتراحاتها دسية لما تغلب خوفها من أبيها عليها لأنه يكون مطلعاً على كل شيء

قلت بلهجة التأكيد

ـ لاتخافي . لقد أوليتني شرفاً عظيما أيتها السيدة تنزو ولعمرى لا أدرى ما ذا أقول

ومع أن كبرياءها لم ينثن الى هذه الآونة لكى تستدرجني الى أن تعلن لي حبها وتبث لي غرامها فانها لم تخط خطوة بل انتظرت ولم تحر جواباً

وبينما كنت أفكر في الامر كله اذ تذكرت فجأة الفتاة التي رأيتها في الهيكل ولم ألبث مرة أخرى اذ شعرت بعينيها المملوءتين توسلا والمفعمتين بأسرار الحب الابدى تنظران الى عيني .

فكرت بها ثم فكرت بالفتاة الجميلة الواقفة أمامي التى ستكون ـ اذا قبلت ـ زوجتى فشعرت بميل قليل نحوها غير ان صورة الفتاة الاولى كانت قد انطبعت الآن في قلبي مدى الدهر وعلى ذلك قلت أخيراً

ـ لقد أوليتني أي تنزو شرفاً أكبر مما استحق ولو انني ابن فرعون ومع ذلك لا أستطيع وا أسفاه أن أجيبك الي طلبك لاسباب ـ لاسباب خاصة بي

لاحظت أثناء كلماتي هذه ان الستائر التي اختفى وراءها ساست وامينمحعت تتحرك بغضب فتمنيت لو انهما كانا في مكان آخر لا يختبئان يسمعان قولي

صاحت الفتاة وقد تجلت في صوتها وعينيها دلائل الحب المطلق

والوجد الصحيح قائلة

ـ أواه . فكر . فكر فيا تقول أيها الامير

تجلت شدة شغفها أمامي وبدت ملاحة قوامها البديع وجمال وجهها بحالة أهاجت عواطفي وأثارت وجداني على رغم رسوخ غرضي. على انني استجمعت قواي وقاومت هذه العاصفة فكبحت جماح عواطفي وهززت رأسي ببطء

صاحت الفتاة وهي تلهث قائلة : « أواه . . . »

ثم ترنحت بحيث خيل الي انها ستسقط تحت قدمي متوسلة . على انها تملكت عواطفها ونظرت الي نظرة غريبة هنيهة ثم لوت أصابعها الى ان ابيض لحمها وأخيراً قالت بصوت هاديء

ـ انك تهوي فتاة أخرى

فلم أفه بكلمة لانني في الواقع لم أكن واثقاً من أمري على ان وجنتي احمرتا اثناء فترة السكوت التي تلت ذلك

صاحت الفتاة قائلة

ـ اواه . لقد ادركت الآن

ومع ان صوتها كان جافا من شدة الغضب والاباء والغيرة الا أن عينيها السوداوين كانتا مغرورقتين بدموع حارة

لفت الفتاة جسمها بردائها واسدلت قناعها على وجهها ثانية ثم سارت الى الباب تتبعها جاريتاها وعندها تحولت . وقد كادت تخنقها العبرات — ولا أدري اذ كان ذلك من تأثير الغضب أو خيبة الامل ـ ثم قالت

ـ أيها الامير رعمسيس . لقد تعودت ـ كما قلت ـ أن أطلب أكثر

عما اعطي ولـكن متى اعطيت فانى لا أريد أن يرفض طلبي

ثم اسدلت الستارة وراءها

لم يكد يتلاشي وقع أقدامها حتى كان ساست الى جانبى وهو يصيح قائلا

ـ ماذا فعلت أيها الامير . ان هذه فرصة أرسلها الينا بتاح . . .

فصرخت في وجهه قائلا

ـ الزم الصمت . أراك قد نسيت نفسك في تبجحك . هـل أنا عبد حتي يخاطبنى رجل مثلك بهذه الاقوال ؟

ومع ذلك كان غضبي من نفسي أشد من غضبي منه لأنى أدركت أن عينى تلك العـذراء التي رأيتها فى الهيكل هما اللتان حولتانى عن الطريق التى تؤدى الى تحقيق غرضنا ولو انى قلت في نفسي ان هناك طرقاً أخرى توصل الى الغاية نفسها ، طرقاً عقدنا النية على سلوكها قبل أن نفكر أو نعلم عن هذه الطريق شيئاً

كبح ساست جماح عواطفه بمجهود كبير ثم حني رأسه وقال ببطء

ـ لقد وضعت الكأس في يدك أيها الامير ولـكن رأيت أن تلقيها الي الارض وتحطمها ـ ومع ذلك قد استطيع أن اجمع اجزاءها

ثم غادر الغرفة مسرعاً قبل ان اسأله عن معنى كلامه أو عما ينوى عمله

تحولت الى امينمحعت وكان يفكر وهو يلعب بأصابعه في لحيته فقال وهو ينظر الى السقف

ـ ربما أصبت في عملك أيها الامير وربما لم تصب ولو انه لا بد ان تكون فتاة الهيكل فتانة لأنها في عينيك أكثر من السيدة تنزو .

ان لاسبيل الا الى شيء واحد وهو ان اطلع ميناس على أمرى واجعله موضع سري . وفعلا نفذت فكرتي هذه وأرسلته الى الهيكل لكى يقف على عوائد وواجبات فرقة الموسيقيين فى الهيكل لانني شعرت بشوق قتال الى رؤية تلك الفتاة ثانية فقضيت ساعات الصباح على أحر من الجمر منتظراً عودته لأقف منه على نتيجة مهمته

تناولت طعام الغداء وذهبت الى غرفتى وقد انهكني التعب من مناضلتي المستمرة لجعل ابى شديد العزم لانه عاد على ما يظهر الى خوفه من حرحور . وبينا كنت جالساً على هذه الحال إذ جاء ميريس واخبرنى ان ساست يريد المثول بين يدي فأذنت له بالدخول فدخل ثم سجد أمامي وسألني بعبارات ملؤها الخضوع أن اصفح عنه لما اظهره من الغضب في الليلة الماضية ثم استطرد في حديثه قائلا

ـ ولكن هناك وأيم الحق بعض الاسباب لانني قمت بتحريات فوجدت ان الامر كما وصفه شقيق امينمحعت وقد كان جلياً ظاهراً ليلة امس . فان تنزو تهواك وتحبك حباً صادقاً ولم يكن فى اقتراحها شيء من الغش والخداع لان الحب جنون يذري بالرجال والنساء ولكنه يذري بالمرأة اكثر من الرجل . اصغ الي الآن . هل لك أن تنعم النظر فى الامر مرة أخرى لان الفرصة لم تفلت بعد فقد قابلت السيدة تنزو ليلة امس بعد مغادرتى اياك وقبل خروجها من القصر وأخبرتها بلسانك انك فهت بما فهت به خوفاً من الجواسيس وان في قلبك شيئاً آخر وعلى ذلك تمكنت بعد أخذ ورد طويلين من أن أعيد الامل الى قلبها . وقد خفت ثائرة غضبها وأصبحت تظن انك ستجيب طلبها . لا ريب ايها الامير رعمسيس فى انك ترى أن هذا خير وسيلة

لتنفيذ الخطة التي جئنا الى هنا لاجلها لانك بموافقتك اياها تقسم حزب الاعداء الى شطرين تضم أحدهما الى لوائك

فعارضته قائلا

ـ ولكن هذا عمل غير شريف . وقد وثقت بى

فقال ساست بلهفة

ـ لا شيء غير شريف فيه تحقيق ما يطلبه بتاح الاكبر . لقد استعبدت بمكانتك العالية ورقة عواطفك النبيلة قلوب كثير من عبيد الامير سيتو وحرسه الخاص لان الانباء تجري كالبرق في قصر لجدرانه آذان-ولان الامير سيتو شديد القسوة على من دونه . ومع ان هذا امر بسيط فان الغبار القليل يدل على اتجاه الريح وأقول لك الآن انك ستضم الى جانبك جميع انصار سيتو والذين لا يتبعون باخلاص رجلا لا يدافع عن حقوقه

ومع ذلك هناك حرحور وحزبه وهؤلاء لا نستطيع أن تستميل اليك منهم أحداً اللهم الا بالوسيلة التي بين يديك فهي وحدها التى يمكن بها بث بذور الشقاق بينهم وفوق ذلك ليست المهمة سيئة لان تنزو فتاة جميلة تحبك حباً جماً . وعندي لا يحجم كثيرون عن الموت فى سبيل هواها

واذ ذاك لاحظ غضبي فقال مسرعاً

ـ او اذا كنت تريد تلك الفتاة التي رأيتها بضع دقائق امس فى الهيكل فماذا يمنعك من شرائها او اخذها عنوة بعد أن تتزوج بتنزو وتكون صاحب السلطان ؟ ولعمرى في وسعك أن تقوم بهذا العمل الآن اذا شئت

فأجابته قائلا

ـ كلا يا ساست . ان كل هذا لا يمكن . ان تنزو فتاة شريفة نبيلة عاملتني بصراحة وسأعاملها بصراحة كذلك . اني لا أهواها ولهذا السبب لا أعدها بما تطلب لان الذى تريده ـ كما قلت ـ ليس العرش فقط

ـ فكر . فكر ايها الامير. اليست الفتاة الاخرى هي التي تهواها؟ في وسعك أن تحظى بها في أى وقت بعد ان تتكبد مشقة قليلة أما تنزو فانها هدية مرسلة من ازيس نفسها

فقلت بعناد

ـ كلا

من الغريب انى أخذت أفكر بعد هذا بالاقتراح الخص بأخذ الكاهنة الصغيرة اكثر من تفكيري بالمساعدة التى اجدها على يد ابنة حرحور الحسناء

أخذ ساست يتوسل الي بتألم قائلا

ـ ليس عليك أن تقابلها حتى يتم كل شيء ففي وسعك أن ترسل اليها مراسلات على ورق من الرق احيانا تبث فيها غرامك كما يفعل العاشقون أو ترسل اليها تذكاراً أو تذكارين لان المرأة العاشقة تقنع بالقليل . وقد فكرت فى ذلك فاخبرتها ايضاً انك ابعدتها عنك حرصاً عليها وحدها وانك لا تريد مقابلتها كثيراً الى أن ينتهي الامر ولكن لك أن ترسل اليها وسلا اذا شئت . ثم اخبرتها ايضاً انك انما فعلت ذلك لانك تحبها حباً صادقاً. ولما كانت الفتاة مدنفة بك فقد صدقت قولي

« والان أنظر ايها الامير تجد انني جمعت أجزاء الكأس وجبرتها بعد مشقة كبيرة وعناء فلا تحطمها ثانية . أليس كذلك ؟

ولما لم أبد اشارة استطرد ساست في حديثه قائلا

ـ وفوق ذلك ما ذا تستطيع الفتاة أن تفعل اذا كانت لك الغلبة على حرحور وقبضت على زمام السلطة ؟ أليس في وسعك أن تفسخ الاتفاق . هل تستطيع تزو ...

فقاطعته بغضب قائلا

ـ لقد آنستك غيرتك أيها الصديق اشياء كثيرة: الشرف والاستقامة والشهامة وغير ذلك . يخطر ببالي احيانا أي ساست ان فضائلك تتحول احيانا الى رذائل . اقول لك الان لاخر مرة انني سأعاملها بكل صراحة وأتمسك بما قلته . لا أوافق على اقتراحها وفوق ذلك لن أقابلها ثانية ولا أرسل اليها رسلا وآمرك أن تخبرها بالحقيقة بدلا من كل هذه الاكاذيب التي كبدت نفسك مشقة أخبارها بها

فصاح ساست قائلا

ـ ان مصر وحتى بتاح تطلب موافقتك ورضاك ايها الامير

شعرت اذ ذاك بتأثير عينيه فتلت بشيء من المشقة

ـ اقسم بحق منتو يا ساست ان ارسلك حتى في هذه الاونة الى احضان اوزوريس ـ على رغم انك صديق ارجو أن تبقى صداقته ـ اذا أنت حاولت مرة أخرى التأثير علي بسحرك

ثم وضعت يدي على مقبض خنجري تلميحاً لما أقول فأرخى رئيس السحرة عندها عينيه وحنى رأسه ثم غادر الغرفة وتركني على شيء من الارتباك والحيرة

دخل ميناس بعد قليل فنسيت في الحال كل ما جرى وسألته بلهفة

عن نتيجة بحثه وتحرياته فأجابني قائلا

ـ توجد عند مؤخر هيكل آمون حديقة جميلة تعودت كاهنات آمون السير فيها بعد غروب الشمس وهذه الحديقة تجاوز ذاك القصر الفخم القائم فى طرف الهيكل وهو داخل الاسوار التى شيدها توثميس الثالث ملك مصر لحماية الكهنة والكاهنات على ان الحديقة لسوء الحظ محاطة بالسور المرتفع نفسه وليس هناك مدخل الا بطريق الهيكل والقصر وفوق ذلك يعد المكان مقدسا بحيث تقضى بالموت على كل من يجرأ على تدنيسه . ومع ذلك فان الحديقة هى المكان الوحيـد الذي تستطيع فيه أن تتحدث معه سراً لانه يستحيل مقابلتها فى الهيكل نفسه حيث لا يراها احد الا مع الكاهنات الاخريات وقت الحفلات التي لا يسمح لك برؤيتها لان جميع الكاهنات مرتبطات مع آمون ابـ الجميع بالعهود والمواثيق ولا يجوز لهن مغادرة الهيكل

فسألته بغضب قائلا

ـ ولكن اذا كانت الحديقة منيعة لا يمكن الوصول اليها فما العمل؟

ـ لقد قمت ايها الامير بتحريات سرية بين عبيدك وحراسك فيما يتعلق بهذا الامر فوجدت هنا رجلا كان منذ ايام قليلة كاهنا لامون ويعرف اسرارهم . على انه عرض نفسه لعقوبة الاعدام لجريمة ارتكبها ففر الى القصر وصار جندياً مع انه يعلم ان حياته فى خطر من هؤلاء الكهنة الذين لا تخفاهم خافية . فمن المحتمل أن يعرف هـذا الحارس طريقا سريا الى الحديقة ولا مندوحة من وجود طريق كهذا لان هذه عادتهم التى عرفت عنهم

ومن الغريب أنه تبين صدق هذا القول فقد أبلغني جندى اسمـه

آما ـ وهو رجل تلوح على وجهه علامات الشر ـ ان هناك مدخلا سريا بسرداب تحت الارض رضى أن يريه اياي بعد مكافأته ولو انه أحجم في البداية خوفا من الكهنة

استقر رأيي على أن أذهب مع ميناس وحرس صغير بارشاد الجندى الى هناك عند غروب الشمس لان شوقي الى رؤية فتاة الهيكل ذات القوام البديع كان قد تملكني واستحوذ على جميع مشاعرى

وعلى ذلك تنكرت أنا وميناس بحرص وحذر وخرجنا من القصر مع مرشدنا آما وثلاثة من الحراس الشداد الغلاظ فعبرنا النهر ووصلنا الى مكان صغير مكشوف في جوار « البحيرة المقدسة » وعلى مسافة مئة خطوة من السور المرتفع المبنى خارج قصر توثميس فى الهيكل الذي يشمل الحديقة . في حين كان وراء هذا الى اليسار مسكن آمون العظيم كما كانت منازل «أواس» وهيا كلها وراء ذلك على الضفة الغربية للنهر

وكان في المكان الفسيح الصغير مجموعة صغيرة من الاشجار فقادنا مرشدنا الى هناك حيث عثرنا على حجر أخفى بمهارة مدهشة بين الاعشاب فضغط الرجل على هذا الحجر بطريقة معينة فدار وكشف عن مدخل لنفق مظلم

دخلنا هذا المدخل وكان ارتفاعه يبلغ نحو قامة ثم أضأنا مصباحا صغيرا جئنا به معنا. ولما أرانا آما المرشد كيف نفتح الباب الحجرى ونقفله بواسطة لسان بارز من الداخل ـ سرنا في طريقنا داخل النفق . ومع ان الهواء كان يزداد حرارة كلما انقدمنا في طريقنا فقد كان مع ذلك متجددا فدل ذلك على وجود تيار بطيء من الهواء

وكانت جدران النفق الى تلك اللحظة مغشاة بألواح من الخشب

فتحولت فجأة الى حجر واذ ذاك أخبرني آما اننا وصلنا الي أساس السور العظيم الذى يحيط بالحديقة والقصر وأبنية الهيكل ثم قال :

ـ يجرى من هذه النقطة دهليز سري صغير الى اليسار يؤدى الي الجزء العتيق من الهيكل الذى بناه أوسرياسن فرعون مصر ، وكان هذا الجزء كما علمنا مملوءاً بالممرات السرية والمخازن وقاعات سرية لعقد الاجتماعات والغرف والمعابد وغير ذلك عدا ممرات سرية أخري تؤدى الى خارج الهيكل

لم تمض بضع دقائق حتي صعدنا بعض درجات ثم سرنا الى أن وصلنا مرة أخرى الى مكان مضيء وراء شجرة ذات رائحة زكية عند قاعدة السور الاكبر . ويكاد هـذا المنفذ لا يكون مخفياً مطلقا لان جميع الذين فى الهيكل يعرفونه بالطبع وفوق ذلك كانت الكاهنات مرتبطات بعهودهن ان لا يغادرن الحديقة . واذا فرض وكانت لديهن هذه الرغبة فان قليلات منهن فقط يعرفن سر فتح الباب الحجرى الموجود فى طرف النفق

أمرت رفيقى أن ينتظرا ـ أما الحراس الثلاثة فكنا تركناهم بين الاحراج ـ ثم اختفيت على مسافة بضع خطوات على مقربة من كوخ صغير معد للهو والتسلية من خشب الارز لانى كنت قد رأيت ثياب الكاهنات والفتيات وهن يرحن ويغدن بين مناظر الحديقة الجميلة

اختفيت علي هذه الحال وأخذت أصلى الى المعبود بتاح من أعماق قلبي وأتوسل اليه أن يرسل الى التي جئت للبحث عنها دون ابطاء

الفصل الثانى عشر

أجيبت صـلاتى في النهاية وتحققت أدعيتي كما تحقق جميع أدعية المؤمنين دائما . وقد رأيت انه كان من المحتمل أن تمضى على أيام كثيرة قبل أن تمر الفتاة منفردة فى هذا المكان المنعزل في الحديقة فلم أنكر ان المعبود هو الذى أرسلها الآن الى

ظهرت الفتاة فجأة في منحني طريق صغير ، يخرج من بين مجموعات كثيفة من الازهار والرياحين ويمر بغدير را كدكانت أزهار اللوتس ذات الرائحة الزكية تطفو على وجهه هنا وهناك

وقفت الفتاة مترددة لحظلة عند حافة الغدير وهى تنظر نحوى كما لو كانت روحها قد علمت انى هناك . وكانت صـورة قوامها البديع مطبوعة على سطح الماء الهادىء .

لم تكن في ثيابها البيضاء كما رأيتها في الهيكل بل كانت ترتدى ثوبا ذهبيا مرفوعا بشرائط عريضة حمراء فوق كتفيها ومربوطا من الوسط بزنار قرمزى رفيق كانت تتدلى طياته الى ركبتيها فتظهر ملاحتها الفتانة

وكانت تلبس فى قدميها « صندلا » أحمر وتعصب جدائل شعرها بشريط وردي وقد انعكست منها أشعة الشمس عند غروبها . وكانت تحمل على احدي ذراعيها معطفا من الكتان جاءت به بلا مراء لكي تلتف به بعد أن تذهب حرارة النهار أمام برودة الليل المقبل

وقفت الفتاة على هذه الحال هنيهة في حين خررت على وجهي في مخبئى وعبدتها بكل قلبي وبعدها واصلت الفتاة السير ميممة نحو الكوخ الصغير فقمت عندها فجأة من وراء الشجيرات

لم تبد الفتاة حركة أو تفه بكلمة بل وقفت جامدة فى مكانها . أخذت تنظر الى هنيهة . أخيراً تكلمت بصوت رقيق هادىء رخيم ذكرنى بسقوط براعم الازهار عند تقبيل نسيم انصيف العليل

قالت الفتاة

ـ علمت انك قادم . ثم و عجب ! لقد قادتنى روحي « كا » اليك الآن

فأجبتها بصوت مبحوح قائلا

ـ لقد اخترق سهم جمالك قلبي . ودعت عيناك فأطع عبدك

فسكتت الفتاة هنيهة ثم قالت

ـ ادخل هنا . لا يستطيع أحد رؤيتنا وفي وسعنا أيضاً أن نرى من هنا كل من يقترب وعلى ذلك نستطيع اذا تطلب الامر ان نختفى من هنا دون ان يراك أحد لان هذا الجزء من الحديقة مهجور دائماً

دخلنا الكوخ حيث جلسنا على مقعد جنباً الى جنب . روحان جاءتا معاً ثانية من « اللانهاية » ثم لا تلبثان بعد أن تقضيا فترتهما الوجيزة ان تعودا ثانية الى « اللانهاية » روحان ارتبطتا معاً طول المدى بسلاسل الحب اللينة الثابتة

مددت يدى وأمسكت اصابعها الصغيرة وعلى هذه الحال جلسنا صامتين قانعين كل القنوع ، سعيدين كل السعادة اذ وجد كل منا الآخر في النهاية . فى حين كان المعبود « نييت » (الليل) يرخي سدوله المعتمة ببطء على ناحية الشرق

لم يتولانا العجب ولم يسأل احدنا الآخر اين ولا كيف ولا متى التقينا من قبل لان مثل هذه الامور لا يسمحها اذ هناك قناع مسدول بين ارواحنا على الارض ـ قناع لا يجوز ه رسله . وفى الواقع لا يعلم

أحد بوجود هذا القناع اللهم الا الكهنة والراسخون في معرفة أسرار الآلهة . على انني كنت قد تعلمت من تربيتي في هيكل بتاح شيئاً من سر الحياة والموت والولادة من جديد والحب ـ أما الآن وقد عثرت روحي في النهاية علي رفيقتها الابدية التى كانت منذ الابد والتي يجب أن تبقى أبد الدهر فاني لم أعـد أفـكر بهذه الامور بل قدمت عبارات الشكر الى بتاح واقتنعت نفسي

طرأت على عقلي فكرة فجأة بعد هنيهة فقلت

ـ يا الهي . انني لا أعرف حتي اسمك !

فضحكنا معاً ثم قالت

ـ اسمي نح ـ تل ـ كا

ـ نح ـ تل ـ كا : ياله من اسم جميل ! ـ انه أجمل اسم سمعته . وهل أنت هنا كاهنة منذورة لآمون ؟

فقالت بشيء من الحزن

ـ نعم منذ ولادتي أي منذ سبعة عشر ربيعاً ومع ذلك أرى أن روحي كانت منذورة لك قبل أن ينذر جسمي لامون ـ أو ربما كان كل هذا حلماً . ولكن أخبرني عن نفسك أيها الامير رعمسيس ، عن نفسك . حقاً انني افكر فيك منذ رأيتك ولكن الانباء تجري هنا في هيكل آمون بين الذين لا يحبونك ويتمنون هلاكك

وعلى ذلك أخبرتها بقصة حياتي في مدينة منف ذات الاسوار البيضاء وعن نفسي وعهدي وما جئت لاجله والامور العديدة التى حدثت عدا حادثة تنزو فقد كتمتها عنها مخافة اقلاق أفكارها وكانت تصغي باهتمام شديد الى كل ماذكرته وبعناية كبيرة ثم سألتني اسئلة

كثيرة واخبرتني عن حياتها التي كانت على كل حال هادئة جداً خالية من الحوادث

وبينا كانت الدقائق الحلوة تمر كالبرق ساد بيننا سكون آخر عميق بحيث كنا نسمع في خلاله دقات قلبينا . أخيراً تحولت ونظرت الى عينيها اللتين كانتا تلمعان مثل كوكبين وسط الغسق فى حين صارت يدها الصغيرة التى في يدي حارة فجأة وأخذ نبضها يضرب بشدة

خاطبتها بصوت خافت ولكن بسرعة لكى لاتقاطعني قائلا

ـ نم ـ تل ـ كا ، نم ـ تل ـ كا أي سويداء قلبي . انني رجل قبل كل شيء ، انني احبك فوق كل شيء كما تعلمين اذ جال بخاطري انني أخبرتك هذا من قبل ولو انني لا أدري متى ولا أين كان ذلك ، إنك تحبينني كذلك وهذه حالنا منذ البدء كما يخيل الي أيضاً انني اعلم ذلك. ولعمري مافائدة الكلمات اذا كان بيننا ماهو أقوى من الكلام وأبقى منه . انك وايم الحق لي كما انالك ولما كنت اي حياة حياتى قدوجدتك فانني لا استطيع ان ادعك تذهبين فتعالي الآن معي الى القصر . انني لا اقصد بك ضراً كما تعلمين تعالي معي الى القصر وهناك اقدمك الى والدى فرعون فيضمك تحت حمايته الى ان يحين الوقت الذى أصير فيه ملكا وعندها اتزوج بك وتجلسين الى جانبي على العرش كملكة مصر ... نعم . نعم

وكانت تريد الكلام فاستطردت في حديثي بسرعة قائلا

ـ انني أعرف جيداً انه يجب على أن أتزوج باحدى الاميرات ولكن هل اكون ملكاً ذا سلطان اذا لم يكن في استطاعتى ان ابلغ قلبي أمنيته واعطيه مايهوى اذا ماجلست يوماً ما على العرش ؛ تعالى

أيتها الحبيبة ، تعالي معي . لقد نظرت عيناي وجهك مدة قصيرة ومع ذلك فانني أهواك بل واعبدك كما تعلمين لأن حب من هم مثلنا لايحتاج الى اجتماعات كثيرة لكي ينمو ويزهر . انه ثمرة زاهرة لاتحتاج الا الى القطف . قولي الان . . .

فقاطعتني بحالة مؤثرة قائلة

ـ كلا . كلا . لاتغريني . اواه ، ألا ترى أي رعمسيس حبيبي انني منذورة الى آمون ؟

فسألتها قائلا

ـ ولكن ألا يدعك الكهنة تذهبين اذا طلبتك أنا الامير ؟

فهت بهذه الكلمات ولو انني اعلم ان هذا مستحيل وفى الواقع اجابتني قائلة

ـ انهم لا يسمحون لي بالذهاب ولو كنت أنت فرعون ـ وهو مالم تصل اليه بعد ـ ومحبوباً من كاهن آمون ـ وانت لست محبوباً منه مطلقاً

ـ لاتهتمى بهم وتعالى معي الى الخارج . ان الهرب أمر يسير وسأحميك بحياتى اذا ماصرت حرة طليقة

فدقت احدي يديها بالاخري وقالت وهي تنتحب برفق

ـ لا أستطيع . انني اليوم معبدة بحبي وقد ابتهجت اذ وجدتك فى النهاية . لم أفكر في حبي بهذا مطلقا . لا أستطيع ، لا أستطيع أن أنكث بتلك الايمانات الرهيبة ـ لمجرد سعادتى . من الخطأ نقض العهود فى أي وقت ومن الخطأ الفاضح نقضها لاسباب تنطوي على حب النفس

اضطربت افكاري بحالة غريبة عند رؤية دموعها فوضعت ذراعي

حول وسطها وقلت برقة وعطف

ـ لا تبكي أيتها الحبيبة الصغيرة

لم ألبث أن شعرت بصوت نوحها وجلدها الناعم وقد التصق بذراعي العارية وبقربها مني وبنسيم الليل الممطر وبألف عاطفة أخرى وقد حملت كلها علي وداهمت عقلي فاسكرته بنار جنون مشتعلة فخررت على الارض عند قدميها وضممت ركبتيها الرقيقتين الى صدرى ثم سكبت كل حبي وغرامي بكلمات ملؤها الوجد والهيام وأخذت أتوسل اليها أن تأتى معي وتنسى قسمها وتمسك السعادة التي وضعت في يدها

على انها لم تبد ازاء كل هذا شيئاً وجلست تحدق النظر مباشرة الى الظلال التي امامها الى أن تحولت توسلاتى الحارة الى سكوت وأخفيت وجهي المتقد بين طيات ثوبها الرطبة

أخيراً وضعت يدها على رأسى بدلال ثم قالت

رعمسيس أى قلبي ، رعمسيس هذا لا يمكن أن يكون فقد أرادت الآلهة غير ذلك . انك لا تستطيع ـ وأنت تعلم فى قلبك جيداً ـ أن تجلس على عرش مصر وتأخذنى عروساً لك ، أنا التي لست من أسرة ملوكية ولو انني عالية الحسب والنسب . وكذا لا استطيع أن أهب نفسي اياك لأكون غير عروسك فى وقت لامندوحة فيه من أن تجلس الى جانبك فتاة أخرى تدعوك بعلها. ثم اذ فرض وكان كل هذا ميسوراً فانني لا استطيع أن أحنث بيميني

تولتني الدهشة لما رأيته من الشجاعة الكامنة فى قلب هذه الفتاة الصغيرة ولم ألبث أن شعرت بالخجل عند ماذكرت قسمي الذي لو بررت به وأحرصت عليه كما أحرصت هي على قسمها لتم عقد زواجي بتنزو

قت ببطء ثم وقفت أمامها وقات

ـ اسألك المعذرة أيتها الحبيبة ولا تنسي ان القلب اذا زاد طفح مهما حاول الانسان أن يحافظ عليه .انني أسحب كلماتى والآنـ والان يجب أن أذهب ولـكن لا تحظري على القدوم الى هنا ثانية لرؤيتك

فتمنمت الفتاة قائلة

ـ لا استطيع ذلك حتى لو أردته لان قلبي لك دون سواك . انني مرتبطة بك بكل قيد يستطيع الحب أن يصنعه . ولعمري أشعر بابتهاج في هذه القيود ولو انني لا أشك وا أسفاه فى ان هذا خطأ . ولـكن قد تدخل هاتور مع آمون لاجلنا نحن اللذين افعم قلبانا بحب طاهر نقى .

لزمت الفتاة الصمت هنيهة ثم استطردت في حديثها قائلة

ـ كن علي حذر ، لانه اذا قبض عليك هنا كان الموت نصيبك ـ ونصيبي أيضا

ثم صاحت قائلة

ـ لانني أحبك . لانني أحبك حباً لم يشعر به قلب امرأة من نحوك ولن يشعر به أحد . أواه ليتني أفعـل شيئا ، شيئا يبرهن لك على مبلغ حبي لك وولهى بك

خشيت اذ ذاك أن يتغلب علي جمالها وتؤثر في قلبي كلماتها العذبة الرقيقة فأنسى نفسى ثانية ولذا تحولت نحو الباب وقلبي مفعم بالحزن

بيد انني لم أكد أصل الى العتبة حتى سمعتها تناديني ثانية باسمى بصوت ينم على الحياء قائلة

ـ رعمسيس !

فأجبتها بحزن قائلا

ـ لبيك

ـ رعمسيس ! ان الظلام شديد بحيث لاتستطيع رؤية شيء ولكن، ألا يروق لون ثوبى الليلة ؟

دهشت لهذه الكلمات الغريبة التي خيل الى أن لامعني لها وخطر ببالى انها تريد استبقائى لحظة أخري

أجبتها قائلا

ـ حقاً ان لونه جميل ولكن مالونه كما قلت ؟ لانني بدأت الآن وأيم الحق أفكر في الامر فلم اذكر قولك

فأجابتني بضحكة وصلت مسامعي وسط الظلام وقالت

ـ يالك من رجل طيب القلب ! اليس لك عينان تنظران ؟ ان لونه كاللهيب وهو لون جميل ـ اليس كذلك ؟

استولت علي الحيرة التامة وقلت

ـ حقاً انه لون جميل ولكن ما الذى يحملك ياسيدة الحسان على التكلم عن الثياب والالوان ! ان الوقت قد ضاع . ومع اننى شديد الشغف بك الا انه لامندوحة لى من الذهاب

ـ انتظر قليلا . هل تدري مايدل عليه اللون الاحمر ؟

ـ كلا وأيم الحق

ـ انه يدل على الحب الشديد . . . والقبلات

ولما لم أتحرك من مكانى صاحت قائلة

ـ أيتها المعبودة اريس ! أهل فى الرجال بسطاء الي هذا الحد ؟ رعمسيس حبيبي ، هل لابد لى ان اتودد اليك دائما بهذه الحال ؟ هل

تك ـ هل لك ان تقبلني قبلة الوداع ؟ .. قبلة واحدة فقط والا غضب آمون علينا

خطوت خطوة سريعة فكنت الى جانبها . وبينما كانت شفتاها المفتوحتان شوقا وشغفاً تلتقيان بشفتي دار رأسي وترنحت حواسى من تأثير تلك الملاحة الفتانة وحملت روحي لتلتقي بروحها خلال تلك القبلة الحارة الاولى

أرخت الفتاة بعد ذلك ذراعيها الناعمتين من حول عنقي فانسلت من الكوخ وصرت بين الشجيرات الى أن وصلت الى مدخل النفق وغادرتها وهي تبكي سراً في الكوخ الصغير

التقيت عند النفق بميناس فقال انه أرسل آما الى طرف النفق من الناحية الاخري مخافة أن يكتشف أمرهم أحدا اذا بقوا كلهم في الحديقة

أظهر ميناس بعد ذلك شيئاً من التردد على انه لم يلبث أن استطرد في حديثه قائلا

ـ لقد أحسنت صنعاً أيها الامير لانه لم تمض بضع دقائق على دخولهم النفق حتي مرت بي فتاة فلما وقعت عيناها علي أرادت أن تصيح ولكنها لما رأت أنني وحيد تغلبت دهشتها على مخاوفها . ولا ريب أيضاً في انها كغيرها من الفتيات كانت تريد محادثة رجل من الخارج ـ لانني كدت أنسى وأيم الحق انني كاهن بعد مغادرتي مدينة منف وخلع ثياب الكهنوت . ولما سألتني عن أمري قلت لها ـ لكي احميك ـ انني خاطرت بكل شيء لكي آتي الى هنا لرؤيتها وتوددت اليها كثيراً وأعربت لها عن حبي كي لا تستطيع أن تفشي سرنا . على انني وقعت كذلك في قيود هاتور مثلك لان الذي شرعت فيه قصداً قد نما من تلقاء نفسه

وذاب قلبي فى داخلي تحت تأثير حرارة قبلاتها . والآن انوسل اليك أيها الامير رعمسيس بحق التي غادرتها الآن فقط ان ترافقني دائما في كل مرة نأتي فيها الى هنا ثانية

فضحكت ووعدته خيراً وبعد ذلك اخترقنا النفق فوجدنا آما والحراس الزنوج الثلاثة فسرنا جميعاً تحت جنح الظلام الى القصر

الفصل الثالث عشر

ذهبت في اليوم التالى مع أبى فرعون في موكب فاخر واجتزنا الجزء المعروف باواس والجزء الغربي من مدينة نيامون لكي يرى السكان بأعينهم ابن فرعون الذي رد الى أبيه . وكان في هذا الجزء من المدينة هيا كل مشهورة كثيرة وآثار بناها الفراعنه القدماء ثم بعض أبنية جميلة وتماثيل ضخمة شيدها جدي رعمسيس الثالث وجده رعمسيس الذي تعرف مصر كلها مجده العظيم

وكانت مقابر الملوك او منازل الابدية على مقربة نحو طرف الصحراء وهي قائمة في مكان منعزل رهيب بين التلال العظيمة حيث رقد أجدادي وأعمامي من أسرة رعمسيس الذين حكموا مصر قبل ابى رعمسيس الثانى عشر . وكانت قبورهم جميلة منقوشة نقشاً بديعا ولكن وا أسفاه علمت أن اللصوص انتهكوا حرمتها وسرقوا بعض المومياء بحيث تاقت نفسى الى اليوم الذى اجلس فيه على عرش مصر لكي أعيد مصر الابدية الي مجدها القديم

وكانت جماهير السكان تتبعنا في كل مكان في هذا الجزء وفي المدينة نفسها وهم مبتهجون فرحون يحملون الازهار ويرفعون الاعلام لان فرعون أمر بجعل هذا اليوم عيداً عاما لجميع سكان الاراضى العليا

عدت فى المساء تعباً من شدة الحر ولكن شوقي كان عظيما للذهاب مرة اخري الي تلك الحديقة الغناء وهناك اضم حبيبتى الى صدري ثانية . على انه لم يكد يستقر رأيي على ذلك حتى دخل على ساست ومعه شقيقه امينمحمت الذى عينته قائداً في حرسى

أخذ ساست ثانية يتوسل الي وهو يكاد يبكي أن انعم النظر مرة أخرى فيما عرضته علي تنزو معترفا بانه لم يستطع الى الآن أن يخبرها بالاكاذيب التي ذكرها وقائلا ان قلبها لايزال مفتوحا يصبو الي بفضل المجهودات التي بذلها في اليوم السابق . على انه انذرنى من شرها مرة أخري اذا آلمت عواطفها

وقد عزز أمينمحمت توسلات أخيه فقال

ـ اصغ الي ايها الامير . لانريد أن نضايقك دائما بهذه الحال ولكننا كما تعلم أكبر منك سناً وقد عهد الينا الى درجة ما الاهتمام بك الى أن نسوي مسألة عرش مصر . لقد تكلمت انا وساست كثيراً في هذا الموضوع فاتفق رأينا علي امر واحد وهو انتنزو حليفة طيبة ولكنها عدو لدود وان في يدك القوة التى تجعلها أحد الامرين

« نسألك المعذرة ايها الامير رعمسيس لمخالفتنا أوامرك وعودتنا الى سؤالك . ولكن فكر جيداً بقسمك قبل أن تبت فى الامر . أما فيما يتعلق بالفتاة الاخري التى نعلم حق العلم انها امرت فؤادك ـ كلا . لاتهز رأسك ايها الامير ولا تنكر والا لماذا انت الشاب . قد نبذت جميع النساء الاخريات والعبيد والجميع من غرفك ؟ حسن . اقول انا وساست هذا :

« خذها . اذهب ليلا وخذها اذا استطعت ان تفعل ذلك دون أن يعرفك أحد واجعلها ملكا لك فى الجناح الخاص بك من القصر ونحن لانلومك على شيء بل ندافع عنك ضد الجميع ولكن يجب علينا أن نكون على صلة حسنة مع تنزو بعد الذي حدث سواء أكان عدلا أو غير عدل

لم أغضب لهذه الكلمات لانني اعلم ان كليهما صديق مخلص. وفوق ذلك لما كنت سأغادر القصر عما قريب للقاء حبيبتي نح ـ تل ـ كا فقد شعرت بابتهاج وسعادة وميل حسن نحو الجميع. ومع ذلك أجبته بصوت ينطوى على الحزم قائلا

ـ لعمرى من الحيف أن أذعن لارادتها وهي تهوانى كما تعلمان ولا اهواها ؟ كلا ياصديقى لا أستطيع ان افعل ذلك . نقد استقر رأيي كما تعلمان ولكن سنجنى ذلك بحرب مباشرة لامن طرق متعرجة

فاعترضني ساست قائلا

ـ ولكن الحرب ستكون شاقة وعرة ان لم تكن أسوأ من ذلك. لقد قضي الامير سيتو يومه محبوساً فى قصر الكاهن الاكبر حرحور ومعهما اوسر رئيس السحرة ويسار حاكم المدينة وكثيرون غيرهم . وعندي ارائهم يدبرون ضربة تنطوي على الاقدام للقضاء على حياتك

ـ اما فيما يتعلق بذلك فانني استطيع جيداً ان اهتم بأمر نفسى ولدي ايضا رفاق يوثق بهم لحمايتي والسهر على . وفوق ذلك لا اخشي سيتو فقد جاءني ميربس اليوم وأخبرني ان هناك روح امتعاض شديد بين أتباعه ضده وضد قسوته وقد وضع كثيرون خطة للتخلى عنه والانضمام الي .

فبرقت عينا ساست وقال

ـ هذا نبأ سار . لقد سمعت انا ايضاً شيئا من هذا الحديث اليوم اليوم لانك اجتذبت اليك كثيرين من انصاره بحيث صار يخشى على حياته . وعندي اذا مات الآن فج... اذ أتباعه . . .

فقاطعته قائلا

ـ انني افضل ان القى سيتو في ساحة الوغى وأقاتله بصولجتي وجهاً لوجه ثم وضعت يدى على صولجتي التى لاتفادرنى مع خنجري دائما

فصاح امينمحمت قائلا

ـ احسنت قولا ايها الامير

اما ساست فقد تبين لى انه يدبر فى رأسه وسيلة لقتل سيتو غدراً وخيانة . اخيراً تحول الى غرضه وأخذ يتوسل الى قائلا

الا تريد اذن مخاطبة تنزو او علي الاقل الا تريد مراسلتها ؟

فأجبته بحدة قائلا

ـ اقول لك وحق اوزوريس كلا . لاتدعني اسمع كلمة فى هذا الامر مرة اخري . وفوق ذلك امرتك امس ان تعلن الحقيقة للسيدة تنزو واليوم آمرك بذلك للمرة الثانية فلا تقدم على عصيان أمري مرة احري

نظر الى ساست نظرة غريبة وقال

سيتم اليوم ما امرتني به ايها الامير . ومع ذلك ربما دبرت شيئا ما والا صارت تنزو عدواً لدوداً مع انه يجب ان تكون اعظم ناصر لناومين.

وقبل ان اسأله عن معني قوله غير لهجته بسرعة وأخذ يتوسل الى الى ان اعطيه الخاتم الذي البسه فى اصبعى وهو الخاتم الذى وضع به حجر الياقوت الذي سقط من صولجان ابي يوم لقائنا اول مرة ونقش عليه اسمي والذى اعطانى اياه ابى في اليوم التالى

سألته قائلا

ـ لماذا تريد خاتمي ؟

فاجابنى وهو مطرق الى الارض

ـ لكي تكون لى السلطة للقيام بشؤونك

ولما رأيت أنه يشير الى مسالة ما تتعلق بتدبير دسيسة ضد الامير وتمرد انصاره أعطيته اياه ثم غادر الشقيقان عندها الغرفة وتركاني وحيداً

ارتديت عباءتي وتنكرت ثم سرت في طريقي مع ميناس وقليل من الجنود نحو المدخل السري لحدائق الهيكل . وكانت افكارى أثناء سيرى كلها متجهة نحو ما قاله امينمحمت عن اختطاف نح ـ تل ـ كا وحملها عنوة . وكنت كلما ازددت تفكيراً خيل الي انها متى حملت بعيداً عن الهيكل فانها تقبل ما لابد منه وتقفل يدها فى النهاية على السعادة التي وضعت بهذه الحال عنوة في يدها

كم من دقائق لذيذة قضيتها جالساً بجانب التى احببتها داخل الكوخ في حين كان جنودي يراقبون النفق وفي حين كان ميناس يقضى وقته مثلى مع الفتاة الحسناء التى التقت به والتي أراد أن يلقاها ثانيــة . ولعمري ابتهجت نفسي بتحول الامور في هذا المجرى فيما يتعلق بميناس لانها زادت فى ارتباطه بى وبزياراتى الدائمة وفى الوقت نفسه كان يقضي كل وقته مع حبيبته بحيث استطعتـ دون أن أخشى ازعاجاً او خطراً أو تجسساً

ـ ان اتفرغ لحبيبى وأتمتع بالدقائق القليلة التي كنت أعيش يومي لاجلها

عدت الى القصر تحت جنح الظلام كالمرة السابقة فوجدت ساست في انتظاري مع قليــل من العبيد فأخبرنى عنــدها أن بسار حاكم نيامون حضر لزيارتى رسمياً وأنه انتظر في احدى غرف الاستقبال الى ان أعود ثم قال

انتهى المجلس من درس المسائل الاخرى فقام فرعون فى النهاية تعباً وأمر الجميع بالانصراف فصاحوا قائلين

ـ فرعون منبع حياتنا !

سار فرعون ببطء وهو يتكيء على ذراع الوزير نيفر وعلى اثر ذلك عدت الى الجناح الخاص بى في القصر

ذهبت الى الغرفة التي امرت باعداد الطعام فيها فالفيتها مظلمة على غير العادة ولم أجد العبيد الذين يتولون عادة خدمتي اثناء الطعام فسرت اذ ذاك الى غرفة صغيرة مجاورة وهناك وجدت ميريس رئيس التشريفات فسألته بغضب عن معنى ذلك

قام ميريس بتحقيق دقيق بين العبيد الذين وجدهم في المكان المعد للخدم ثم عاد الي وقال انه لا يفهم معنى ذلك لان الرجل شوهد وهو ينتظر بالغرفة ومعه مصباح مسرج وأمامه الطعام منذ مدة قصيرة فقط ولكنه لم يجد هذا الخادم فى أي مكان ولا بين الخدم

أمرت اذ ذاك بمعاقبة الخادم عقاباً صارماً متى وجد ودعوت خادماً آخر ومصباحاً وذهبت الى غرفة الطعام وهناك وقعت عيناي على مشهد مروع . فقد رأينا جثة الخادم الذي كنا نبحث عنه فوق المنضدة وقد فارق الحياة

تولتنا الحيرة لموت هذا الرجل لانه لم يدخل الغرفة احد من الخارج منذ مغادرتى القصر مع ساست. هذا ماذكره رئيس الحراس وفوق ذلك لا أعرف أحداً بين عبيدي وخدمي يكن لي العداء وعدم الاخلاص

لم نجد في جثة الرجل اثراً لجرح ومع ذلك لم يكن ثمة ريب في أنه مات فجأة لانه سقط فى الحال فوق المصباح الفضى الموضوع فوق

المنضدة فاطفأه وهذا هو السبب في ظلام الغرفة. وكنا كلما زدنا فى فحص الجثة اقتنعنا بأن الرجل مات بتأثير سم قتال ولو انه لم يعلم أحد منا على يد من مات

أخيراً صاح رئيس الحراس ثم فرد قبضة العبد وأخرج من اصابعه تمراً كان يأكله على ما يظهر. واذ ذاك تبين لنا ان الجوع حمل الرجل على أخذ تلك التمرات من سلة فضية للفاكهة أعدت لعشائى

بهت الجميع لهذا الامر لان كل شيء فى الواقع كان يشير الى امر ثابت جلي وهو ان جشع هـذا العبد المسكين أحبط دسيسة خطيرة دبرت لاغتيال حياتى

على انه لما كان الوقت متأخراً امرت بنقل الجثة والفاكهة والطعام من الغرفة والمحافظة عليها كلها الى الصباح لاجراء تحقيق دقيق لمعرفة هذا السر. وقد اقسم ميريس ان جميع خـدمي وعبيدي مخلصون لى ومع ذلك امرت ان لا يغادر احد منهم القصر الى اليوم التالي

قدم الي بعد ذلك طعام جديد ذاقه عبدان قبلي ثم وضع جندي امين خارج غرفة نومي لـكي يحول دون اي اعتـداء آخر على حياتى اذا اتفق وكان بين رجال قصري خونة آخرون. ومع ان الامر حير فكري واربك عقلي الى درجة عظيمة فقد كنت تعباً بحيث لم استطع القيام بشيء آخر تلك الليلة على انني وطدت العزم على اجراء تحقيق دقيق فى الغد بحضور بعض الاطباء وسؤال جميع الخدم والعبيد

الفصل الرابع عشر

صحوت في اليوم التالي مبكراً فأرسلت الى ساست واميننحمت وفتياس وقائد حرسي والى طبيبين من أطباء القصر ماهرين في السحر ومعرفة أنواع السموم وغيرها

أمرت باعداد الطعام الذي ذاقه العبيد من قبل ولم أكد افرغ من طعامي حتي جاء الذين أرسلت في طلبهم وجلسوا في الغرفة الاخرى ينتظرون قدومي

دخلت عليهم . وبسطت لهم الأمر بايجاز فقام الطبيبان وفحصا جثة العبد واخيراً قال أحدهما ـ وكان شيخاً طاعناً في السن بلحية بيضاء ـ أنه لم يجد جرحاً بالجسم وعلى ذلك لاريب في ان المعبود الاعظم آمون ضرب العبد بالموت لتجرئه على مس الطعام الذي أعد لسيده

ثار غضبي لهذا القول فأمرت بطرده من الغرفة لأنني مع اعتقادي بأن الآلهة تستطيع القيام بمعجزات كثيرة الا أنها كانت تعمل على يد الانسان

أما الطبيب الثاني فكان أصغر سناً من الاول وفوق ذلك كان يعلم شيئاً كثيراً عن الدسائس التى تدبر في البلاط . ولم تكن هذه بلا مراء أول مرة اختبر فيها مثل هذه الامور فتقدم وبعد أن فحص الجثة قال

ـ أيها الامير رعمسيس ، وارث الاراضى العليا والسفلى . لقد مات هذا الرجل بسم قتال قلما يستخدم لأننى لم أره الا مرة واحدة . انظر . هاهو السم الذي قتل به الرجل

ثم ناولني التمر الذى كان في يد الرجل

أمعنت النظر جيداً فرأيت مسحوقاً رمادياً خفيفاً التصقت ذراته بمادة التمر اللزجة وقد رأينا ان هذا المسحوق عينه على جميع الفواكه المختلفة الاخرى التي كانت في السلة ولكنه لم يكن على طعام آخر

قلت ـ هل هذا هو السم ؟

فأجابني الطبيب قائلا

ـ نعم

ومع ذلك أردت الحصول على برهان محقق فامرت باحضار كلب من الخارج ثم وضعت قليلا من المسحوق في قليل من اللبن واعطيناه للكلب فلم يكد يلعق نصف اللبن حتي عوى بصوت مؤلم وسقط جثة هامدة . وهكذا ثبت بصورة جلية ان المسحوق سم زعاف وانه استخدم بلا مراء لقتلي

أمرت الطبيب اذ ذاك بالانصراف بعد أن أعطيته ذهباً مقابل خدماته وتكتمه كما أمرت بنقل الجثة . وقد استبقيت أصدقائي و ميريس وقائد الحرس معي لكي نقف على معرفة الشخص الذي قام بهذا العمل

وفى الواقع سألت العبيد فعلمت ان السلة أعدت بعد ذهابي الى الهيكل عند غروب الشمس . ولما كان قد تبين ان المسحوق وضع على الطبقة العليا فقط فقد علمت ان الفاكهة عبث بها بعد تلك الساعة . على ان الجميع أقسموا انهم مخلصون لى وانهم لا يرتكبون مثل هذا العمل أو يسمحون لأحد بارتكابه

تحولت عندها نحو ساست وقلت

ـ ان هذا أمر غريب . لا أستطيع أن . . .

فقاطعني فجأة قائلا

ـ انتظر ! لقد خطرت ببالي فكرة . كان بسار حاكم المدينة منذ أمس . أليس كذلك ؟

فأجابه ميريس و بعض العبيد قائلين

ـ نعم أيها السيد .

فعارضته قائلا

ـ ولكنك كنت معه فلا يستطيع ارتكاب هذا العمل

فاستطرد ساست في حديثه بسرعة قائلا

ـ ولكن جميع عبيده كانوا منتشرين في جميع انحاء الغرف كما يعلم الحراس الذين حاولوا ضمهم الى بعضهم بعضاً . فهل يبعد أن يكون أحدهم قام بهذا العمل بأمر بسار أثناء مخاطبة أحد عبيدك في تلك الغرفة التي كانت بها سلة الفاكهة ؟ وعندي لم تكن هذه الزيارة الا ستاراً لارتكاب عمل فظيع وهاهو قد وقع . انه أمر سهل وبسار يبغضك

حدثت اذ ذاك ضجة عظيمة وأخذ بعضهم يضربون رؤسهم على الارض أمامي ويقولون انهم يستحقون الموت لاهمالهم هذا في حين كان يصيح بعضهم قائلين لو كانوا يعلمون ان عبيد بسار لهم يد في هذه الدسيسة لما غادروا أحداً منهم على قيد الحياة

على انني أشرت الى ميريس فأمرهم بالانصراف من الغرفة اذ تبين لي بصفة جلية ان زيارة بسار لم تكن الا خدعة تنطوي على الدهاء والمكر وانه لولا جشع العبد لكنت الان في أيدي المحطين

خاطبت ساست قائلا

ـ انه خطر عظيم ولكن لافائدة من اعلان دسيستهم هذه لاننا لانستطيع أن نثبت شيئاً معيناً ضد بسار نفسه

فقال ساست بغيظ

ـ ربما حصلت على شيء من الانباء قبل عودتك من الهيكل

فضحكت لما أظهره ساست من الاهتمام لانه فى الواقع اضطرب لهذا الحادث ثم أمرت ميريس أن لايبوح أحد بشيء وبعدها ذهبت مع حاشيتي الى فناء القصر حيث كان هودجي بانتظاري

ذهبت الى هيكل آمون الصغير . وبينا كان حرحور واقفاً بجانب الملك يلقي الترتيلة الطويلة لفرعون أخذت أنظر فيما حولي الى نبلاء البلاط وسيداته لأن المشهد كله كان فى الواقع مشهداً غريباً : فقد كان فرعون الذي لايتمتع بسلطة حقيقية واقفاً بجميع مظاهر القوة الخارجية لملك مصر العظيم . ثم رئيس الكهنة الذي كان الى الآن يحرك فرعون في كل شيء ويضع الخطة لاغتصاب العرش وكان واقفاً يصلي ويبتهل الى الله لاجل أبي ولاجلي انا الذي اراد قتلي . ثم النبلاء الذين كانوا مع عبيدهم وانصارهم يدسون الدسائس والفتن وقد امتلأت قلوبهم غلا ومع ذلك كانوا واقفين وقد تظاهروا بالاخلاص والولاء

وبينا كنت افكر على هذه الحال اذ وقع نظري على بسار وكان واقفاً الى اليمين ولكنه تحاشى نظراتي فكان عمله هذا بمثابة دليل جديد على جريمته . على أن زوجته ـ وكانت مثله تلبس حلياً كثيرة وثياباً فاخرة ـ اخذت تحدق الي النظر بحدة غريبة

لم أر اوسر بين أعدائي النبلاء غير مرة واحدة عند ما مر وراء بعض الاعمدة فى الطرف الآخر من القاعة الداخلية ومع ذلك لاحظت

انه انتفض كأنما أدهشته رؤيتي

شعرت اذ ذاك بسرور لفشل دسيستهم لأنهم كانوا واثقين كل الثقة من أنهم سيتخلصون مني . وكان الامير سيتو ـ وهو واقف في طرف الصف الواقف الى جانب فرعون ـ مكفهر الوجه في حين كان كثيرون من القواد الذين عرفوا بموالاتهم لحرحور والذين أمر معظمهم بالسفر الى بلاد الحبشة ـ يتهامسون فيما بينهم

أما حرحور فكان جامداً كعادته بل وأكثر من اظهار المجاملة عند تلاوة ألقاب فرعون والقابي والقاب الامير سيتو . وفي الواقع لم يتبادل معي كلمة تقريباً منذ الصدمة الاولى التي صدمته اياها في قاعة المحاكمة ولا تظاهر بأنه يشعر بوجودي الا أمام فرعون بل أخفى على مايظهر شعوره الحقيقي وراء نقاب كان يسدله على وجهه دائماً من الابتسامات والمجاملات الكاذبة

ومع انني لم أكن أخشى أحداً من الآخرين حتى ولا اوسر رئيس السحرة بعينيه الباردتين الجامدتين ومهارته السحرية ـ الا انني كنت أخاف حرحور رئيس الكهنة لأنه كان يتمتع بسلطة عظيمة سواء في مظهره الخارجي أو في ضبط نفسه ولعمري كنت كلما رأيته خلته من غير البشر حتى خيل الي في بعض الاحيان انه روحه « كا » روح «ست» الشيطان

وبينما كانت عيناه تجولان بين الجموع على هذه الحال ذا التقت فجأة بعيني تنزو التي لم أرها في خلال اليومين الماضيين نظراً لمرضها كما يقولون . وكانت واقفة بجانب أمها تزمت زوجة حرحور فنظرت الي نظرة تنطوي على الحب والسعادة فانتفضت أولا ثم تولاني الخجل

وأخيراً عجبت لماذا شعرت بذلك

ذكرت مقابلتها الاخيرة لي في غرفتي ثم رأيتها الآن فلم أدرك شيئاً ولكنني قلت في النهاية ان ماتجلى على وجهها وفي عينيها ليس الا ستاراً حجب شعورها الحقيقى كما هي عادة النساء

اخيراً أرخيت عينى الى الارض وعندها لاحظت بمؤخرة عيني ان وجهها تورد حياء وأرخت عينها كذلك . على انى لم البث أن نزعت الفكرة بعيداً عن مخيلتى . ولما انتهت حفلة تقديم القرابين عدت مع والدى الى غرفته الخصوصية وهناك أخذنا ننظر في شئون البلاد العامة فاستشرنا الوزير منف وبعض القواد والقائد راخوتب ثم استشرنا حرحور نفسه لأنه كان بحكم وظيفته يشغل مركزاً حربياً فوق مركزه الدينى فكان يحمل لقب « القائد العام للشمال والجنوب » و « رئيس الجنود المسترزقة » ولو انني كنت أشغل بحكم مكانتى مركزاً كهذا

وفي الواقع كانت لدي فى مثل هذه الامور أعمال كثيرة لان فرعون أخذ يسع مقاليد الامور في يدى شيئاً فشيئاً لان شيخوخته كانت قد أثرت في جسمه لضعيف . وقد تبين لي ان عمل أبى هذا لم يرق فى عين حرحور الذى وجدنى بلا مراء عوداً اشد صلابة من عود فرعون كما وجدنى أرمي سهامي في الجهة التي لا يريدها كما رأى ذلك في المناقشة التى دارت ليلة أمس

على انه كان لايزال محافظاً على مظاهر الصداقة الخارجية نحوى ولو انه كان يبحث بلا مراء عن موضن للضعف فى درعى يطعنه قبل أن يدبر فتنة جديدة

أخيراً عدت عند الظهر الى الجناح الخاص بى فى القصر فأخبرنى

الخدم ان ساست يريد مقابلتي فأذنت له بالدخول فدخل وكانت تبدو عليه سيماء الغضب فسألته السبب وبعد الحاح كبير أخبرني انه كان يرجو أن ينبئني أنباء سارة ولكن وا أسفاه فشلت احدى دسائسه كما فشلت دسيسة بسار

فسألته قائلا

ـ أية دسيسة كنت تدبر ؟

فأجابني بحزن قائلا

ـ لقد بذرت حباً كثيراً في الارض كنت أرجو يوماً ما أن ينمو نمواً تاماً ولكن هذه الحبة بصفة خاصة قطعت قبل أن تنمو

سكت رئيس السحرة قليلا ثم استطرد في حديثه فقال

لم تكن الا دسيسة صغيرة لازالة سيتو من طريقنا بالقاء تعويذة اعرفها واعرف كيف استخدمها فقد بت طول ليلتي أعد كل شيء بمساعدة اوراق البردي والحبال المعقودة سبع عقدات وغير ذلك من التعاويذ وضروب السحر التي لا تعرفها أيها الامير . ثم أرسلت في هذا الصباح عبداً أميناً مع صورة من الشمع الى غرف الامير سيتو في القصر اتفاقا للدسيسة . ولكن يظهر ان أعمالي السحرية فشلت أو على الاقل لم تجد فرصة لتثمر لان جثة العبد الذى أرسلته وجدت ملقاة في شارع خارج القصر وهي مطعونة بخنجر عدة طعنات حيث حملت الى هناك مع تمثال الشمع وقد لف حول عنقه

هدأ اذ ذاك غضب ساست قليلا وعاد الى الكلام فقال

ـ وعلى كل حال اسفر عملي هذا عن شيء من الفائدة أيها الامير فقد بلغت الامور انها بين حاشية سيتو عند اكتشاف هذه الدسيسة

وغادره جميع العبيد الا القليل منهم وهم ينتظرون الاذفي الفناء الصغير ويقولون انهم يريدون مقابلتك لكي يحولوا ولائهم اليك . وكانت النتيجة ان فر الامير سيتو الان الى قصر حرحور مع قليل من خدمه المخلصين لانه صار يخشى البقاء في المكان الخاص به في القصر الملكي ولم يستأذن فرعون مخافة أن يمنعه من الذهاب فهل تستطيع أن تثير غضب والدك من نحوه لهذا العمل ؟

فقلت ببطء

ـ لا أهمية لذلك لان فرعون لا يكترث على ما يظهر بما يجري في قصره . لقد استوليت على السلطة القليلة التي تركها له حرحور وبيننا الان نزاع مستمر مثل كلبين يتنازعان لاختطاف قطعة من اللحم ان أبي يدع كل شيء يجرى كما يشاءدون أن يفكر بما له من السلطة لانه شيخ طاعن في السن ضعيف

قاطعني ساست فجأة قائلا

ما ذا لديك من الانباء عن بسار ؟ هل رأيته ؟

فضحكت وقالت

ـ رأيته في الهيكل صباح اليوم وكانت تبدو عليه سيماء الخجل والخزى

فضحك ساست وقال

ـ سيزداد وجهه اكفهراراً الان لانني أرسلت أثناء الصباح اليه رسولا باسمك ايها الامير وأمرته أن يقوم بزيارتك بعد ظهر اليوم اذا شاءوأرسلت اليه ايضاً سلة من الفا كهة هدية . على انه قال انه لا يريد اقلاق راحتك اليوم وانه لا يشعر بجوع الان مطلقاً

فضحكنا معا لهذا القول واخذنا بعدها نتكلم في امور اخرى

على انني لما خلوت بنفسي رأيت أن ساست يضع الخطط والدسائس دون معرفتي وانه لكي اكون فى مأمن واكبر مقدرة على القيام بغرضي بحيث ان اطلع على كل ما يفعله ولو اننا نعمل معا لغاية واحدة

وكنت اود فوق ذلك في نفسي — كما اخبرت ساست — ان اسوى الامر علانية مع سيتو او حرحور او مع اى خصم منهم بدلا من دس الدسائس والالتجاء الى ضروب المخاتلة والخداع . ومع انه لم يمض على في نيامون غير مدة وجيزة فقد وقفت على جميع الاسرار الخاصة بدس الدسائس والفتن بحيث خيل الي انني سأصير مما قريب اشد دهاءوا كبر خداعا من اي واحد منهم

جرى لي حديث بعد طهر اليوم مع قائد من قواد حملة الاقواس يدعى خوتون فقال لي الشيخ باحترام

— أريد خدمتك في المستقبل مع الكثيرين الذين انضموا الى من اتباع سيتو لاننا حرس أمير مصر . ولكن لما كان هناك الان اميران فقد أردنا وحق المعبود « منتو » ان نتبع أميراً يتحلى بصفة الرجال يدرك ايضاً اننا رجال

سررت لتعزيز حزبنا على هذه الحال لانه كان ضعيفاً الى هذا الوقت فمنحته حمايتي من سيتو اذا اراد الامير ان يحدث جلبة فيما يتعلق بهذا الامر . ثم أمرته ان ينظم مع ميريس رئيس التشريفات كل شيء ويعد المراكز اللازمة لرجاله وعبيده في جوار الجناح الخاص بي ثم صرفته

ذهبت مرة أخري في المساء مع ميناس اي حبيبتي وجلست معها نتجاذب أطراف الحديث فى أمور عديدة . وقد كنت اتوق الوقت كله الى مجيء تلك اللحظة التي اطارقها فيها لتمد الي شفتيها الرقيقتين لأقبلهما

قبلة الوداع . ومع انها كانت هي البادئة في المرة الاولي فانها لم تكن تسمح لي الآن ـ على رغم توددى اليها وتوسلاتى ـ الا بقبلة واحدة عند توديعها وذلك لسبب غريب ما يتعلق بها أري ان له علاقة بمهودها

اخذت هذه الزيارات تصير لدي أحلى جزء في حياتى شيئا فشيئا وفي الواقع كنت اعد الاوقات التى اقضيها بعيداً عن نخ ـ تل ـ كا حلما على رغم ما كان بها من الحوادث المقلقة كما كنت اعد الفترة القصيرة التي اقضيها الي جانبها الحياة الحقيقية الوحيدة . ومع ان المناظر التى كانت تقع عليها عيناي فى كل مكان في نيامون غريبة مدهشة وما كنت أنتظره من القوة والسلطان فقد كانت دائما . . .

(وهنا فراغ آخر في القصة يتناول أياما كثيرة على مايظهر)

الفصل الخامس عشر

... وهذه الحفلة اقيمت فى منتصف الليل وقد حضرها أبى وقدمت من اجله صلوات خاصة لانه كان يشعر بضعف جسمانى منذ أيام

وفي الواقع سقط تقريباً حساب فرعون بيني وبين حرحور لانه كان ضعيف الجسم بحيث كان لا يستطيع تقريباً ابداء اشارة ولم يعد يهتم على ما يظهر بحكم البلاد . على ان اعجابه بى كان شديداً وقد أبلغني غير مرة انه لايحجم مطلقا عن ترك مقاليد الحكم وادارة شئون البلاد كلها فى يدى — ولو انه خيل الى ان معظمها فى يد حرحور رئيس الكهنة اذ كثيراً ما كان يزور أبى سراً أثناء غيابى أو قبل استدعائى فيحمله بما له من السلطة القديمة والنفوذ على الموافقة على أمر من الامور السياسية أو اخضاعه لشيء ما يريده

كان على دائما أن أكون يقظا متحفزاً لصد حملات حرحور واحباط مساعيه اذ طالما كان يتوخي الحذر والتكتم بحيث كنت لا أستطيع رؤية شيء يدل على غرضه الا عند مايصل الي بغيته .

كان القصر الملكى ساحة النزال والمصارعة وجسم ابى الشيخ المسن بيننا دائما والجائزة هي تاج مصر المزدوج الجليل الشأن . على ان هذه كلها كانت بعيدة عن دواعى سروري لان يدى — والامور على ماهي عليه — كانتا مقيدتين لان السلطة الزمنية كانت لأبى السلطة الروحية لحرحور — في حين لم يكن لى شيء سواء من هذه أو من تلك . ولو كنت فرعوناً لكان على رئيس الكهنة أن يغير خطته والا اشتد النزاع بيننا .

اثارت الحالة بالاجماع ثائرة غضبي بحيث جال بخاطري ان أخذ أنفاس حرحور . وفي الواقع سألت ساست اذا كان في وسعي أن ادعوه للمبارزة فضحك وقال

ـ كلا . وأيم الحق . ان هذا يكون الجنون بعينيه لانك اذا قتلت ضاعت قضيتنا كذلك لان كهنة آمون لا يسكتون على مثل هذا العمل بل يثيرون الشعب ضدك في حين يوجد الآن ـ والاحوال على ماهي عليه ـ كثيرون يميلون الي الانضمام اليك . وفوق ذلك لدينا يبانخ ابن حرحور الذى يوجد الآن في بلاد الحبشة تحت امرة القائد راخوتب فانه يأتى ويطالب بحقوق أبيه . ان الوقت هو سلاحك الوحيد لانك شاب وجميع الجنود والشعب يحبونك ـ لانك مقاتل وأمير وحاكم

لا تكثر الكلام على صولجتك هذه اذ لا يمضي غير القليل حتي تستخدمها بجد عظيم واهتمام .

ثم تناول السلاح في يده ونظر اليها بثبات هنيهة ولم يلبث ان صاح بصوت غريب قائلا

ـ اري عليها دماً ، دما حمر ، دما من البيت الملكي . . .

ثم القاها فجأة الى جانبي وضحك ضحكة غريبة ولزم السكوت

على انى فكرت كثيراً في هذه الامور . وفي الواقع كانت هناك أمور عديدة تستدعي التفكير في المسائل التى دار حولها البحث بيننا. فرأيت ان الشعب كما قال ساست يميل الي ولو انه كانت هناك قوة جاذبية اخري من نحو الكهنة لاسباب دينية لان حرحور وأوسر كانا يسعيان لحمل الشعب على الاعتقاد بأنى عدو لعبادة آمون اذ رأيا ان هذه هي الوسيلة الوحيدة التى يستطيعان بها محاربتي

بيد أن حزبنا كان يزداد قوة على رغم ذلك كله بحيث اضطر الامير سيتو الى الهرب الى الجنوب لاعتقاده ان حياته — حتى في قصر حرحور — عرضة للخطر من جانب حزبنا

كنت أقص جميع هذه الحوادث على نخ — تل — كا يوماً بعد يوم أثناء زياراتي السرية لها في حديقة هيكل آمون . وقد كنت دائماً اسر لسرورها وأحزن لحزنها لانني عقدت العزم — وهي لاتدرى — على انه سيأتى يوم تشاطرني فيه أفراحي وأحزانى وانتصاري

جاءنى ميريس بعد تناول الغداء وقال ان بعض كهنة آمون يريدون المثول بين يدى في الفناء الصغير خارج جناح القصر الخاص بي فتولتني الدهشة لهذا الطلب وذهبت اليهم فوجدت جماعة كبيرة من الكهنة ومعهم بعض جنود من حرس حرحور برآسة أحد كبار الكهنة وكان شيخاً ماكرا اسمه سورفاست ولما سألته عن مهمته أجابنى قائلا انه آتى للقبض على كاهن مارق يدعى آما حكم عليه بالاعدام لجريمة اقترفها وانه علم بوجوده في خدمتى بين حراسى

لم تكن لى ثقة كبيرة بآما . ولما كان هو الذى أرانى الممر السرى الى الحديقة ويعرف سري فقد فكرت كثيراً في قتله . ومع ذلك رأيت انه خير لى ان أستبقيه فى يدى على ان ادعه في يد أحد غيري وعلى ذلك رفضت ان اسلمه اليهم فتبسم سورفاست عندها ابتسامة تنم على الخبث وأخرج رقاً مختوما بختم فرعون يخول له السلطة لاستلامه

ثار غضبي اذ ذاك اذ رأيت كيف ان حرحور احتال على أبى أثناء غيابى وعلى ذلك أمرت سورفاست أن ينتظر ريثما اعود ثم ذهبت في الحال وطلبت المثول بين يدي أبى فرعون لاحصل منه على اذن اما بابقاء

آما بين حاشيتي او أتولى بنفسي عقابه لانني لم أشأ أن يقع في يد الكهنة الذين يحتمل ان يكرهوه قبل موته على افشاء سر زياراتي السرية في المساء حديقة هيكل آمون فيحولون عندها دون رؤية حبيبتي بسد الممر أو باتخاذ وسيلة أخري

على انني لسوء الحظ القيت فرعون غضبانا فلم أستطع الحصول الا على أمر باعدام الرجل قبل المساء سواء علي يدي أو على يد أحد غيري . وعلي ذلك قفلت راجعا وقد ارتاحت نفسي لانني حلت دون تسليم آما وما لديه من الاسرار الى جماعة الكهنة الذين يبغضونني ويعملون للاضرار بي

وصلت الى القصر فتقدم ميريس الي وسجد أمامي ثم صاح قائلا

ـ لاتغضب على عبدك أيها الامير القدير ، وارث العرش

فسألته قائلا

ـ ماذا جري ؟

ـ ارحم عبدك أيها الامير لانه لايخدم أحداً سواك . دخل سورفاسته عنوة بعد ذهابك وقبض على الجندى آما من بين الحراس وذهب

فصحت بغضب قائلا

ـ أيها الكلب . لماذا جئت تعوى الي ؟ أتجرأ على اخبارى ان الكهنة قبضوا على أحد جنودى دون اذني .

ـ لم تكن لدينا حيلة أيها الامير . فقد حاولت أن أوقفهم ولكنهم دفعوني جانباً وأروا رئيس الحرس خاتم فرعون وشارته . لم تكن معنا ولذا لم نجد ما نستطيع عمله ضد أمر فرعون لان مقاومة أوامر معناها الموت والهلاك

فصرخت فى وجهه قائلا

سيكون جزاؤك الموت على كل حال وفي الواقع رأيت بكل جلاء انه ان لم يمسك آما لسانه ـ الامر الذى لا يستطيع القيام به رجل خائن مثله ـ فانه لا مندوحة من انتهاء زياراتى الخلوة السرية لحبيبتي

أخذ ميريس يمرغ خديه أمامي قائلا انه لم يكن فى وسعه ان يفعل غير ما فعل ولكنى رفسته بغضب ثم ذهبت الى غرفتى الخاصة وارسلت فى طلب ساست

اكفهر وجه رئيس السحرة الشاب عند مافرغت من ذكر قصتي لان وجود آما في أيدى كهنة آمون امر خطير بصرف النظر عن زياراتى للحديقة

اخيراً قلت

ـ ومع ذلك سأذهب الليلة لزيارة حبيبتى نح ـ تل ـ كا . سأذهب مدججا بالسلاح ومعي ميناس وبعض الجنود . واذا كان آما قد أطلعهم على شيء من سرى فانهم سيغلقون الممر بلا ريب وعندها لا يمسني اذى اللهم انني لا اجد مندوحة من البحث عن وسيلة أخرى لدخول الحديقة .

وفوق ذلك يحتمل ان يمسك آما لسانه فلا يبوح لهم بشيء من سرى

حاول ساست أن يردنى عن عزمي علي انه لما رأى منى عناداً وأضراراً علي تنفيذ رغبتي تمتم قائلا

ـ ان سكوت آما بعيد الاحتمال لأن كهنة آمون معروفون بالمكر والدهاء . كن واثقاً من انهم سيكتشفون سرك . وفوق ذلك لا يقومون بعمل يبدو جلياً ظاهراً في أعين الآخرين بل يحتمل أن ينصبوا لك فخاً

ويقبضون عليك بحجة انك دنست مكاناً مقدساً فاتوسل اليك أن لاتذهب

مكثنا مدة طويلة نتحاجج ونتجادل على هذه الحال الى أن كانت لي الغلبة عليه فى النهاية لأ ني كنت مصمماعلى رؤية حبيبتى مهما كانت العراقيل . على اني أذعنت لارادته في أمر واحد فقط وهو الصفح عن ميريس فقد خاطبنى قائلا

ـ انك في حاجة الى جميع خدمك المخلصين وميريس ليس خائناً ولكنه غبي أبله . وعندي لايستطيع أن يعصي كاهناً يحمل أمر فرعون

رأيت أن ساست أصاب فيما قال . ولما كانت ثورة غضبي قدذهبت أرسلت في طلب ميريس بعد ذهاب ساست وأخبرته انى عفوت عنه فقبل عندها نعلي ودموع الفرح تجري على خديه . واخيراً وقف على قدميه ثم قال

ـ ان حياتى لك أيها الامير ولا أخالك تجهل اني اموت بكلمة تبدر منك ولكني أريد أيها الامير أن أموت بحالة أكثر فائدة لك من موتى كعبدمذنب

فأجبته قائلا

ـ ربما تموت كما تقول يوماً ما

ثم نظرت اليه نظرة غريبة وأنا لا أدري السبب الذى حملني على التفوه بمثل هذه الكلمات اللهم الا أنى شعرت كأن روحاً حركتنى على قول ماقلت وبعدها أمرته بالانصراف

تأهبت في المساء لزيارة حبيبتي نح . تل . كاحسب عادتى . وقد

كان ميناس مولعاً بحب فتاته ويتوق الى رؤيتها بحيث لو تخلفت عن الذهاب ما احجم هو عنـه . وفي الواقع رأيت ان الحب صلة غريبة استطاع ان يربطنا بهذه الحال جسما وروحاً بحيث كنا نسمي حبنا ربحاً اذا فقدنا كل شيء دونه واستطعنا انقاذه من الهلاك

ومع ذلك اشتد قلقنا من نحو آما وهل يفشي سرنا قبل موته واذا فعل فماذا يكون نصيبنا

وعلى ذلك تسلحنا بالخناجر ولبس كل منا قميص من الزرد الشرقي وحمل ميناس سيفه وحملت أنا صولجني وقد رافقنا أيضاً ستة من جنود الخيتاس المسترزقة فوضعتهم بين الاحراج بعيداً عن المدخل السري للممر وامرتهم ان يكونوا على استعداد لنجدتنا اذا ما سمعوا نداءنا ثم سرنا خلسة في الضوء القليل بين الاشجار الى أن مددنا أيدينا الى الحجر السرى بقلب مضطرب

ضغطنا على الحجر حسب العادة فدار لابتهاجنا وبأن مدخل النفق أمامنا فكان ذلك دليلا على أن الكهنة لم يغلقوه

اضأت المصباح الذي نحمله ودخلت أولا ثم مرت في المقدمة وصولجني في يدى يتبعني ميناس شاهراً سيفه خلفي فاجتزنا النفق على هذه الحال في سلام الى أن وصلنا في النهاية الى درجات المنفذ المؤدي الى الحديقة وعندها تنفسنا الصعداء اذ علمنا ان الكهنة على الارجح لم يسمعوا شيئاً عن قدومنا وانهم لابد ان يكونوا قد قتلوا آما دون أن يسألوه شيئاً ولو ان ساست رأى غير هذا الرأي

وبينا كنا سائرين بين الشجيرات اذ ظهرت فتاة فجأة كانت تنتظر لي مايظهر ثم تقدمت وأرادت ان تلقى نفسها بين ذراعي ميناس ولكن

وقعت عيناها علي أولا فتوردت وجنتاها خجلا ومالت برأسها الى الوراء . ولما كانت لاتعرف من أنا لأن ميناس حفظ سري سألتنى المعذرة برشاقة وقالت انها كانت تظن انه وحيداً

ولما كنت شاباً واقعاً في شرك الغرام كذلك ضحكت وأمرت ميناس أن يقبلها فتردد قليلا ولكنه أذعن في النهاية فقبلها مرتين أو ثلاثاً واذ ذاك حولت رأسي بعيداً عنهما لأنى شعرت بشيء من الحزن عند مافكرت بنح ـ تل ـ كا وكيف انها لاتسمح لي الا بقبلة واحدة في كل مرة قائلا اذا كان آمون سيعفو عن قبلة واحدة كل يوم فانها مع ذلك لاتستطيع ان تنسى ان مجرد التفكير بالحب خطأ . ومع ذلك رأيت وانا اراقب ميناس وفتاته ان هناك اناساً يستطيعون أن ينسوا مايزيد عن مدى القبلات وينجون من العقاب

على انى بينما كنت أتحول للذهاب الى نح ـ تل ـ كا سمعت الفتاة تتمتم كلمة او كلمتين عن وجود شيء سري بين الكهنة هذه الليلة فوقفت هنيهة على انى ذكرت ان الفتاة تشير بلا ريب الي القبض على آما وقتله وعلى ذلك واصلت السير الى الكوخ الصغير ولم تمض لحظة أخرى حتى كنت الى جانب حبيبتى في منعزل بعيد في زاوية الحديقة

الفصل السادس عشر

مكثنا مدة طويلة نتحدث معاً في أمور عديده ليست ذي بال كعادة المحبين ولكني أخبرتها في النهاية عما يجري في القصر وما أصاب آما فاضطربت عندها وقبضت على كلتا يدي بأصابعها الصغيرة الباردة ونظرت الى عيني وقالت

ـ كن على حذر أي حبيبي رعمسيس . انك لا تعرف هؤلاء الكهنة مثلي انا التي عشت بينهم فانهم لا يحجمون عن شيء متى وقفوا على سرك واذا سمحت لي باصدار حكمي قلت انهم لابد أن يكونوا الآن قد انتزعوا السر من قلب الرجل المسكين في الغرف السفلى وبعدها سيبصصون لك الفخاخ هنا ويقتلونك . .

فصحت دهشة قائلا

ـ ماذا ! يقتلونني ! يقتلونني أنا الامير وارث عرش مصر ! لاريب في انهم لا يقدمون على ذلك ؟

ـ كلا . انهم يقتلونك اذا وجدوك وحيداً وثق انهم ينتحلون لانفسهم أعذاراً كثيرة فيقولون انهم يجهلونك وانهم زعموا انك رجل من عامة الشعب تجرأت على تدنيس مكان مقدس وغير ذلك من الاعذار. ولعمري لا يهمهم ما يصيبهم متى قتلت وفي الواقع يرى كثيرون الموت بسببك شرفاً فقط اذا اتيح لهم التخلص منك . ثم اذا فرض ولم يقتلوك فانك ستجد نفسك في مأزق حرج لأنهم سيتهمونك في الحال بتدنيس الهيكل المقدس وانتهاك حرمته لأنني منذورة الى آمون... ولا اخالك تجهل ما يقولون . . . انك تعلم ما يأتي لاجله الرجل هنا

ثم توردت وجنتاها حياء وقالت

واذا اخبرناهم الحقيقة لايصدقنى او يصدقك احد . وقد حدث منذ اعوام عديدة ، قبل ان يجلس والدك على عرش مصر ان كاهناً من كهنة « رع » فى منف نقض عهوده لأجل اميرة تدعى رامترو وفرا معاً الى الصحراء فلم ينفعها شيء ولو انهما كانت ابنة فرعون لأنهم قبضوا عليهما فيما بعد فانتحرا لكى لايقعا فيما هو ادهى وأمر ويلمن القبر الذى اعد لها الى اليوم وتتلى اوراق البردى التي تتضمن خزيها وعارها على جميع من ينذرون حياتهم للمعبود آمون

ـ ولكن ألا تعلمين ايتها الحبيبة انني مدجج بالسلاح خبير باستخدامها وانني اتوق الى القتال ؟

فانتفضت الفتاة وقالت

ـ أواه . لا أطيق مجرد الفكرة

ثم رفعت يدي الى ثغرها وقبلتها بحنان كما تقبل الام رضيعها وقالت بلهفة

ـ قد يمسك احد بأذى واذ ذاك ما ذا أفعل ... أواه . ان هؤلاء الكهنة الاشرار لئام . لقد كان الدين في مصر روح البلاد فأصبح اليوم سلاسلها وأغلالها . ولعمرى حتي أوسر رئيس السحرة ...

ثم سكتت فسألها في الحال قائلا

ـ ماذا تريدين قوله عن أوسر ؟

ـ انه ... حسن . انه رئيس سحرة آمون ، ومع ذلك يريدني كما يريد أية فتاة أخرى

ثم دفنت وجهها في منكبي وتعلقت بى وهي تنتفض ثم عادت فقالت

ـ انه يتكلم عن الشرف العظيم والاخلاص لآمون القدير الذي يناله من يخدم أحد خدامه المخلصين ...

فوضعت ذراعي حول وسطها وصحت بغضب قائلا

ـ تباً له من شيخ ذميم ! يا له من أرقم خبيث. سأذكر هذا وحق ازيس اذا طال عمري

هدأ روع الفتاة قليلا واستطردت في حديثها فقالت

ـ اني لا أخشاه كرجل بل كساحر لانه يسلط على قوته احياناً وأشعر وقد غادرتني قواي . لقد هربت في أول مرة قام فيها بهذا العمل وفي المرة الثانية قدمنه بمبخره فلم يعد الكرة في المدة الاخيرة ولكن قد يعود يوماً ما وعندها ربما ... أواه ، كم ابغضه، كم أبغضه!

انتفضت ثانية وجذبت عباءتها حول جسمها . ومن الغريب انى شعرت فجأة ببرد كذلك مع أن أشعة الشمس كانت لا تزال ترى وهي تنير على الازهار والشجيرات

نظرت بعدها ـ وكنت على وشك التكلم ـ فرأيت لدهشتي ميناس واقفاً عند الباب في ضوء الشمس قبيل غروبها . ومما زاد عجبي اني لم أره عند اقترابه لان النافذة التي كنا جالسين بجانبها هي المنفذ الوحيد الذي يطل على الطريق

خاطبته بدهشة قائلا

ـ ميناس ! كيف جئت الى هنا

وكانت نفر ـ تل ـ كا جالسة الى جانبي فنظرت اليه بعينيها السوداوين نظرة تنطوي على الخوف والدهشة

على ان ميناس لم يجبني على سؤالي وقال بصوت خافت ثلاثاً

ـ حذار أيها الامير

ثم اختفى فجأة دون أن أراه تقريباً

قفزت من مكاني وهرعت خارج الكوخ لأسأله عن معني قوله ولكني لم أقف له على اثر سواه وراء الكوخ أو بين الاحراج

اخيراً عدت وقد تولاني العجب فالفيت نخ ـ تل ـ كا كما غادرتها تحدق النظر الى الامام من خلال الباب

تمتمت قائلا

ـ يا للعجب ! انه ليس هناك ... ماذا ؛ ما الخبر ؛ هل رأيت حلماً أو هل رأيته ايضاً ؛

فاجابني بصوت خافت قائلا

ـ نعم رأيتها

ـ فكررت قولها بصوت مبحوح قائلا

ـ رأيتها ! ماذا تعنين ؛

ـ ان ما رأيتـه ليس شخصاً لانني لم أر له خيالا في الشمس بل اعتقد انه روح أو « كا » وهي آلهة

ـ ولـكن كيف يستطيع ميناس ...

فقاطعتني قائلة

ـ ان منبع حياتي ، ان ذاك الشبح قال :

«حذار » فهو رسول نذير... أواه ، اذهب الآن اتوسل اليك أن تذهب والا اصابك شيء هنا . ولعمري أشعر في الجو بشيء مروع رهيب .

ومع انني كنت بعيداً عن الهدوء والطمأنينة فقد قلت لها

ـ كلا . هدئ روعك واطمئني . ربما لم تكن روح ميناس . . .
على انها حولت عينيها الجميلتين نحوي وقالت
ـ انك تعلم انها هي
فلزمت الصمت لانني كنت اعرف في قلبي انها هي في حين شعرت بخوف كذلك
أخذت نح ـ تل ـ كا تتوسل الي بصوت مختنق قائلة
ـ أواه . يجب أن تذهب الان وكذا يجب علي أن اذهب كذلك اكراماً لك لانهم اذ رأوني وعرفوني علموا انني انا التي أحبك فيستطعون عندها أن يؤلموك من طريقي . وسأبذل كل شيء في سبيل خداعهم بحيث لا يعرفون اية كاهنة منا تحبها لانهم لم يرتابوا في أمرنا الى الآن رمسيس حبيبي . اذهب وازيس معك تحميك وتحافظ عليك . و كان الخطر ينتظرك فسأصلي لأجلك وأراقبك بروحي
أخذتها بين ذراعي وقبلت شفتيها المرتعدتين وهي مغمضة العينين مستسلمة للاقدار . على انها لم تلبث أن انتعشت بالحياة وأخذ جسمها ينتفض وجداً وغراماً فنسيت آمون وغضبه وطوقت عنقي بذراعيها ثم قبلتني مثنى وثلاث ورباع بلهفة شديدة وقد التصقت بي بحيث كنت اشعر بدقات قلبها من خلال ثوبها الرقيق
أخذت الفتاة تتمتم بصوت متقطع قائلة
ـ حبيبي . حبيبي
وأخيراً انسلت برشاقة من بين يدي عند ما أردت أن أقبلها مرة أخرى ثم هرعت الى باب الكوخ وعادت تتوسل قائلة
ـ أذهب لان ايها الحبيب . ادعو هاتور المقدسة أن تقيك من كل

شر واذى

خطوت خطوة الى الامام ولكنها تحولت وذهبت فلمع ثوبها الابيض لحظة فى الظلام ثم اختفت عن الانظار

سرت كما لو كنت في حلم بخطوات بطيئة الى مدخل النفق . وكان شطراً من فكرى فى دورة لما رأيتــه والشطر الاخر متيقظا لما قد يصيبني من الخطر

أخرجت خنجرى من غمده وقبضت بيدى اليمنى على صولجتي أثناء سيرى بين الاحراج ولكني عثرت عند مدخل النفق بشىء ما بحيث كدت أسقط على وجهي فأمسكت ببعض الاعشاب وملت الى الامام ثم نظرت فرأيت ماجمد له دمي في عروقي . ولا عجب فقد شاهدت على نور الغسق الكاهنة التي كانت تحب ميناس ملقاة على الارض وثوبها الجميل ملطخ بالدماء . وكانت قد فارقت الحياة تماما اد رأيت طعنة نجلاء فاغرة فاها تحت عنقها الابيض الجميل فى حين وضعت على صدرها ورقة من البردى كتب عليها : « هذا نصيب كل دس يجرأ على انتهاك حرمة آمون العظيم »

انتصبت واقفاً وقد تولانى الرعب الشديد . مادا حــدث ياترى ؟ لابد أن يكون الكهنة قد اكتشفوا أمرنا . ثم ميناس أين هو ؟ لم أجرأ الظن بانه قتل أيضاً ولكن كيف أن روحه « كا » ظهرت لي فى الحديقة ؟

نظرت فيما حولى ولكنى لم أستطع ان اري له اثراً وكذا لم أشاهد اثراً بين الاشجار والازهار يدل على نشوب قتال ؟ على اني رأيت ان المصباح الذى وضعناه عند وصولنا لايزال مضيئا فتركت جثة الفتاة وحملت المصباح فى يدي وأطلت برأسى نحو درجات مدخــل النفق .

وكانت السكينة شاملة فلم أستطع رؤية شيء فى الظلام

وكان قلبي مفعما بخوف لا اعرف كنهه وقد خيل الي هنيهة انني أرى الشبح الذى ظهر أمامي منذ مدة وجيزة .

مددت يدي بالمصباح ثم نزلت بكل حذر وانتباه الي مدخل النفق تاركاً ورائى تلك الحديقة الغناء والفتاة المدرجة بدمائها بين أزهارها ورياضها .

هبطت درجات السلم ببطء متوقعاً في كل لحظة رؤية الكهنة بثيابهم البيضاء في الدائرة الضيقة التى ينيرها المصباح أمامي . وبينا كنت أجتاز الاساس الصخري نظرت فيما حولى علي أري دليلا علي وجود أحد اذ خشيت أن يكونوا كامنين للانقضاض على ولكني لم أر شيئا ولو انه خيل الى انني سمعت همساً خافتاً فوقفت ولكني لم أسمع غير دقات قلبي التى كانت تسمع بجلاء وسط السكون الرهيب المحيط بى

واصلت السير فوصلت الى الجزء المغشى بالاخشاب في النفق ثم أخذت في صعود الجزء المنحدر الطويل . وكان العرق يتصبب من جسمي فى هذا المكان المنعزل وتخدرت أصابعي لشدة قبضتي على صولجتى . علي ان السلامة كانت علي مقربة مني لانني وصلت تقريباً الى الحجر السري في طرف النفق

تنفست الصعداء . ولكن لم تكد تطمئن نفسي حتي سقطت أشعة المصباح علي جسم أبيض ملقى علي أرض النفق فاقتربت وملت الى الامام لكي اتحقق منه ولم ألبث ان صرخت وسقط المصباح من يدي ثم ترنحت الى الوراء فى الظلام لهول ماوقعت عليه عيناي

نقشت علي كرتى عيني صورة ميناس المروعة نقشاً عميقا وقد جرد

من ثيابه وجحظت عيناه وأثخن جسمه جراحا وطعنا وشوه جسمه بحالة مخيفة لا يمكن وصفها فى حين الصقت في صدره بواسطة خنجر ـ قطعة من الرق تماثل التي وضعت علي صدر الفتاة التي وجدتها مدرجة بدمائها فى الحديقة

وبينما كنت مستنداً الي الحائط وقد وضعت يدي على عيني محاولا ان احجب عنهما هذا المنظر الرهيب اذ سمعت اصواتا تهمس على مسافة بعيدة خافي ورأيت أشعة مصباح منعكسة على الحائط ..

... لقد افشي آما سرنا في النهاية فقد مات ميناس ، ماتت فتاته ـ والآن لا بد أن يكون الكهنة قد جاؤا يقتفون اثري من الممر السري

وثبت الي الامام وأخذت ابحث عن اللسان الصخري بقلب مضطرب وخوف شديد لانني كنت أشعر بجثة ميناس اللينة تحت قدمي

اخيراً عثرت على اللسان الصخري ثم ضغطت عليه ... ولكن دون جدوي . وقد حاولت الكرة المرة بعد لاخرى وسط ظلام دامس ملقيا كل قوتي فى حين كانت اشعة المصباح تقترب شيئا فشيئا فوق المنحدر ولكن لم يتحرك شيء وبقيت الصخرة ثابتة كما هي

ـ أخيراً قطعت كل رجاء . وكان العرق يتصبب فوق وجهي . ولا عجب فقد ادركت الآن كل شيء ـ أدركت الدسيسة المروعة القاسية الرهيبة ولعمري هذا هو السبب الذى من أجله حملوا جثة ميناس الى طريق النفق عند ما قبضوا عليه بلا مراء وقتلوه فى الحديقة مع فتاته الحسناء ، وهذا هو السبب الذى من أجله كتبوا الرق واغلقوا الحجر ، ثم فعلوا كل ذلك لكي أجده فى هذا المكان عند ما احاول الفرار

عبثاً ولكن اعلم انه سيصيبني ما أصابه مما قريب وان هـذا سيكون مصيرى الذي لا مفر منه . انهم شياطين مردة لا كهنة فقد حبسونى فى طرف النفق وحيداً مع جثة صديقى فى حين كان في وسعي أن أرى بحالة جلية نور المصباح . وهو ينعكس على ثياب الكهنة البيضاء وعلى سيوفهم المسلولة وهم قادمون.

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى)

روايات الاهرام التي تم طبعها

(١) كوكب الصباح – أو – فوز الحب الصادق

رواية مصرية أخلاقية قديمة عن فتح الجيوش المصرية للسودان . وفي هذه القصة تتجلى صورة الاخلاص والتفاني في الحب وفوز من يثبت في النهاية – ثمنها ٨ قروش صاغ

(٢) ثريا – او شهيدة الوفاء

رواية أخلاقية مؤثرة تصف فشل السياسة الانكليزية في بلاد الترنسفال ، وقصة تري القارىء كيف تتغلب روابط الدم على عوامل الغرام – ثمنها ٨ قروش صاغ

(٣) هي – او – عائشة

عائشة او – عودة هي

قصة أخلاقية طويلة في أربعة أجزاء ، تتضمن تاريخ حياة امرأة رائعة الجمال قضت ألفي عام في الجبال والكهوف بين شعب من البرابرة تنتظر عودة حبيبها – ثمنها ١٦ قرش صاغ

(٤) السحر – او – انجيلا

رواية عصرية أخلاقية تصف الشيء الكثير من عيوبنا الاخلاقية والمنزلية والدهاء النسائي ومطامع الاباء وتضحيتهم لبناتهم طمعاً في المال – ثمنها ٨ قروش صاغ

(٥) الحب الأبدي

رواية أخلاقية عصرية بها وصف بديع لغرائب التنويم المغنطيسي وأدلة محسوسة على أن الحب الصادق أبدي لا يفنى – ثمنها ٨ قروش صاغ